

طفل الميزان

الكتاب: طفل الميزان (خسوف)

المؤلف: حميد عقبي

النَّاشِر: دار الدَّرَاوِيش للنَّشْر والتَّرْجِمة- بلوفديف- بلغاريا

Дервиши



لداروين النشر والترجمة
AL DARAWESH PUBLISHING HOUSE
BLOVDIF - BULGARIA

العدد: ١٤٥٠

الطبعة الأولى يوليو ٢٠٢٤

١٤٣ ص: ٢١ × ١٤ سم.

الكتب والدَّرَاسَات التي تصدرها الدَّار إنما تُعَبَّر بالضرورة عن آراء ووجهات نظر واجتهادات أصحابها، ولا تمت لرأي الدَّار بأي صلة.

تم الإيداع في المكتبة الوطنية صوفيا بلغاريا : ٢٠٢٤



(ISBN) (ردمك) الورقي 1-355-98529-3 - 978

تصميم الغلاف والإشراف الفني: بدر السويطي.

الصفَّ الضوئي والإخراج الداخلي: محمود عنتر

فرز الألوان والتنفيذ الطباعي: دار الدراويش للنشر و الترجمة

المدير العام: بدر السويطي

✉ للتواصل:



الدَّرَاوِيش للنَّشْر والتَّرْجِمة

daraldarawesh@gmail.com

☎ هاتف: 00491627040179. ص.ب: 87600

📍 شارع تورغوفسكا رقم ٧- ستامبوليسكي- بلوفديف- جمهورية بلغاريا.

© كافة حقوق النَّشْر، الطبع والاقْتباس محفوظة، عدا حالات المراجعة والتَّقديم والبحث والاقْتباس العادية ذكرًا للمصدر؛ فإنَّه يحظر إعادة إصدار، نسخ، تصوير، ترجمة أو اختزان -ورقياً أو إلكترونياً- أي جزء من هذا الكتاب، بأي شكل أو وسيلة مهما كان نوعها في نطاق استعادة المعلومات -سواء كانت تصويرية، إلكترونية أو ميكانيكية بما فيها التَّسجيل الفوتوغرافي أو التَّسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة وغيرها-، دونما الحصول على تصريح خطي مسبق من النَّاشِر والإشارة إلى المصدر. وأي اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع -دون موافقة كتابية- يعرَّض صاحبه للمساءلة القانونية.

* تباع النسخة إلكترونياً عبر موقع الدَّار.

طفل الميزان

حميد عقبي



الذراويش للنشر والترجمة®

AL-DARAWESH FOR PUBLISHING & TRANSLATING
WWW.DARAWESH.COM

بلوفديف - جمهورية بلغاريا

Plovdiv-Bulgaria

2024

الإهداء

إلى أطفال اليمن
إلى شجره وحجره
إلى جباله وبحاره وبشره.

كلمة شكر وتقدير

إلى أستاذي الناقد الأكاديمي المصري

الأستاذ الدكتور / منير فوزي

لكل جهوده ودعمه لتجاربي الروائية والدعم بالمراجعة والتدقيق

اللغوي لهذه الرواية.

الشكر الجزيل للشاعر الروائي والناشر بدر السويطي لدعمه لكل

هذه التجارب والمغامرات المتنوعة.

مقدمة مختصرة

أقدم إلى القراء مغامرة وتجربة روائية جديدة، الرواية الثامنة. وأود أن أبشركم أيضاً بقرب الانتهاء من مراجعة رواية «خمسة/ خمسة»، التي ستكون رواية طويلة. رواية «طفل الميزان» تتألف من واحد وعشرين ألف كلمة تقريباً، وتحاول الغوص في الواقع اليمني الذي لم ولن يكون سعيداً في ظل كل هذه الفوضى غير الخلاقة. كل رواياتي تحاول فهم ما يحدث هناك. أنا هنا، تبعدني عن اليمن المسافات والبحار، إنه مجرد بُعد جغرافي قد أعجز عن تجاوزه لبعض السنوات، لكنني أجد نفسي قريباً من رقصة كل نخلة وقهقهة كل موجة، ضحكة كل طفل وهمسات البسطاء الذين يحاولون صيد الأحلام الصغيرة.

لا أود تلخيص هذه الرواية ولا الترويج لها في هذه المقدمة المختصرة جداً، أترك لكم متعة القراءة والتذوق والتأمل. يظل اليمن بلداً وقضية مركزاً لكل أعمال الروائية وأغلب كتاباتي القصصية والشعرية، يظل حاضرًا في هذيان فني ولوحاتي التشكيلية. أرى الموت واتجادل معه، تغريني العناقات وهمسات الرغبة، فانصاع إلى تصويرها والركض إلى

العشق والحياة. تدعوني الكؤوس إلى مصافحتها وتذوقها، هذا أنا الطفل
الخارجي المجنون، المحب للحظة الحياة. أكره الحروب والصراعات
وأحلم بيوم عودة السلام والطمأنينة إلى بلدي اليمن والكون.

الفصل الأول

يستيقظ متعباً. كعادته يبحث عن سيجارة ويطلب من زوجته تحضير القهوة. قد يضطر أحياناً لعمل القهوة لنفسه عندما تكون زوجته مشغولة بالكنس والمسح، ويبدو أنه سيكون مضطراً لدخول المطبخ هذا اليوم. يسمع بعض الضجيج، يفهم مباشرة أنها تترتب البيت وستطلب منه أن يُبدل بعض الأشياء. أسطوانة مشروخة يعرفها جيداً.

يدخل إلى المطبخ، يبحث عن سيجارة، عن علبة القهوة. يجدها فارغة. دبة الغاز تلفظ أنفاسها الأخيرة، يجد نصف سيجارة فقط.

يتمتم في نفسه: سيكون يوماً صعباً لا غاز ولا قهوة ولا سجائر وحتى لا يوجد ماء.. يا رب متى تنتهي هذه الحرب القذرة ونعيش بسلام وتنتهي هذه المعاناة.

هنا تدخل زوجته ويدها المكنسة.

الزوجة: لا يوجد ماء ولا أدري كيف أمسح البيت ولا تتعب نفسك لا توجد قهوة ودبة الغاز.

يقاطعها: - يفرجها الله.. نحن أحسن من غيرنا!

تكمل الزوجة: أنت كاتب وتقضي لي لك تكتب وكله ببلاش.. عليك

أن تتصرف، زميلك سعد يكسب بالدولارات وتستضيفه الفضائيات
بينما أنت تروح مع من لا يدفع مليم.. كتابات وكلام واسمك عبد الحميد
الكاتب.. كل شيء بالمجان ونحن جياع، فكر في أطفالك.

يعلم أنها لن تفهم شرحه ولكنه يعيد طرح أسبابه.

عبد الحميد: يا حبيتي أنا لا أقبل أن أشهد شهادة زور كل الأطراف
المتحاربة تجار حرب وباعوا اليمن... الله يهديك يا فردوس قلبي يا حبيتي
..المشارك بقلمه مثل المشارك بالبندقية والمدفع في قتل الناس.

الزوجة (غير مقتنعة): - يا أخي أنت معاد الكل.. أنت لا يعجبك
عجب.. كلهم يتمنون أن تكون معهم.. لكن أنت عقلك من حجر.

الكاتب (بلطف): - الله يهديك أنا مع الشعب المسكين الطيب العريق.

الزوجة: الشعب فقير ومريض ويموت.. وأحنا سنموت من الجوع
وأنت سوف يجسونا ويضربونك مثل كل مرة.. أنت صاحب عيال
وأنا ما أحب أصبح أرملة.. فكر في بنتك رقية وابنتك عبدالسلام وهذا
الذي في بطني.. أنا تعبت يا ربي هذا الرجل ما يعرف مصلحته ومصلحة
عياله..

هنا تدخل طفلتها رقية بنت العشر سنوات، تقف بين أبيها وأميها،
تقفز لتقبل والدها وتخطب أمها.

رقية : أبي راح يكون عنده فلوس كثيرة وأحنا اليوم سنأكل أكل كثير حلو وبكره كل الحارة ستأكل لحمة من خروف سمين وكبير يقول بعاع بعاع.

ثم تنزل وتركض إلى الخارج.

تبتسم الزوجة وكأنها تلفت نظر زوجها لما تقوله رقية.

الزوجة :- حبيبي عبد الحميد سمعت إيش قالت رقية، سيكون عندك فلوس، يعني عمل جديد وياليت يكون رسمي هذه المرة ولكن ما هو حكاية الخروف السمين، يمكن أحد سيرجع من عمرة أو سفر ويذبح للناس أو ختان. أخيراً الناس سوف تذوق اللحم، بشرى سارة، إن شاء الله يكون فيها الخير.

يقترّب الزوج، يقبلها :- حبيبتى سرية، خيال رقية واسع بنت شاعر وكاتب. [ينفخ صدره مماًزحاً كأنه يفتخر بنفسه].

تتكلم الزوجة في جدية: أنا أصبحت أوّمن بما تقوله رقية، بعد خروجها من الصدمة العام الماضي بعد القصف المرعب بجوار حارتنا. في تلك الليلة اهتزت الحارة وتزلزل البيت وعشنا في حالة رعب ظلماء وباردة طول الليلة، شوفنا الموت وأنت كنت خارج صنعاء في عمل، بعدها فقدت النطق لمدة أسبوع، وفجأة عاد لها النطق أحسن من الأول وعندما تقول شيء يتحقق.

و كأن الزوج لا يريد أن تكبر هذه الفكرة في رأس زوجته. يضحك.
 الزوج :- حبيبتى، رقية طفلة وللأطفال خيال واسع وعميق وحتى
 كلامهم قد يوحي بدلالات أكثر مما يقصدوه هم.
 يخرج من المطبخ بينما الزوجة تظل تندب وهي تشيح بوجهها نحو
 نافذة المطبخ؛ حيث تسكب الشمس بعضاً من الضوء.
 في الصالة الصغيرة المتواضعة، يقترب طفله عبدالسلام حاملاً ميزاناً
 صغيراً، يركض به نحوه فرحاً.

الطفل :- أبي انظر اشتريت هذا الميزان وسأذهب لأجلس به في شارع
 التحرير؛ ولما يضربون بصاروخ سأموت شهيداً مثل طفل الميزان وأكون
 شهيداً يدخلوني الجنة.

ينحني الأب ليقبل طفله ويحتضنه، ثم يجلس معه لمناقشته.

الكاتب :- من فين جاءت لك هذه الفكرة؟

الطفل :- كل أطفال الحارة سيفعلون هكذا.. أنت ما شوفت صور
 طفل الميزان علقوها بالمدارس والشوارع.. فعلوا له صوراً كثيرة وكتبوا:

سننتقم لطفل الميزان

شعب اليمن ما يخاف نيران

صواريخ أقوى من مليون حصان

تدك حصونكم في كل مكان ..

الكاتب : من فين هذا الكلام؟

الطفل : ناس جاءوا للمدرسة وقالوا حندر بكم تحاربون أعداء الله

وتموتون شهداء وتدخلون الجنة

يصاب الرجل بصدمة، يحاول أن يقنع ولده بأفكار أكثر عمقاً..

الكاتب : اسمع حبيبي حتى هذول مش فاهمين

يقاطعه الطفل : بس الجنة، الجنة حلوة ، كبيرة وواسعة، خليني أموت

شهيد وأدخلكم الجنة معي ببلاش

الكاتب :- اسمع الآن روح عند صاحب الدكان وقل له هات باكت

سيجارة وقهوة على الحساب.

ينهض الطفل رافضاً الذهاب : يا أبي لما مافيش فلوس يزعل صاحب

الدكان ويتعصب وأحياناً يضرب رأسه.. يقول أنه مديون ومفلس

والناس ما عندهم فلوس ولا يدفعوا ديونهم.

الكاتب : خلاص حبيبي والله هو كمان مسكين..روح عند أمك

اوزمها لكن ما في روحه للتحريير أنت صغير والشوارع خطر.

يبدو الطفل غير راضٍ، يتجه إلى أمه.

هنا تدخل الطفلة رقية، تبدو حزينة، تضع حقيبتها المدرسية وتنزع غطاء الرأس، يأتي أبوها ليازحها.

تسأله :- أبي أنا لازم تبدلوا اسمي .. سموني فاطمة الزهراء وليس رقية.

يندهش أبوها.

يسألها: - لماذا حبيبي؟ اسم رقية حلو وهو اسم رقية بنت النبي ترد :- لكن فاطمة أفضل .. المدرسة كل يوم تحكي عن فاطمة بنت النبي وأم الحسين وتعطي لأي واحدة اسمها فاطمة درجات أكثر .. ولا مرة حكيت عن رقية .. وقالت لازم نحب فاطمة والحسين أكثر من أي واحد.

يجلس، يمسكها، يضمها إليه، في هذه اللحظة يتدخل الطفل عبدالسلام.

عبدالسلام مترجياً والده :- أبي وأنا أبغي أغير اسمي للحسين أو علي، والله المدرس يحلف بهم وعمري ما سمعته يحلف بعبدالسلام أو حتى محمد.

تضحك الأم تبدي بدلها قائلة : وأنا كمان شوف لي اسم وأنت كذلك.

الكاتب :- لا حول لله صلوا على النبي .. أسماكم كمان حلوة ولها معنى
يقاطعه عبدالسلام :- ايوه زمان .. الآن لازم تفكر يا أبي
تضحك الأم حتى يحمر وجهها، يظل الكاتب مندهشاً لا يدري ما
يفعل.

الأم :- أسمع نصيحة عبدالسلام لو فكيتها شوي من أفكارك التي لا
تعجب أحداً ستكسب. أو خرينا ناجر.
هنا يرن هاتفه، يتجه للمطبخ ليبحث عنه وهو يضرب على رأسه من
شدة دهشته لما سمع.

في المطبخ يمسك الكاتب التلفون ويرد
الكاتب :- نعم مرحبا .. أستاذ سعد ما الذي ذكرك بي، أنت صرت
من الكبار .. تريد تشوفني خير الله يستر لو يكون مصيبة أو أنا مدعو
للتحقيق .. حسنا فين .. مطعم .. أه أعرفه .. ساعة وأكون عندك.

ينهي مكالمته يظل يفكر فيما سمعه، تأتي زوجته.
الزوجة :- سلامات يا رجل .. خير .. ليش انقلبت أحوالك.
يرد :- أتصل بي سعد .. ويريدني الآن ومش عارف أروح أم
لا ..

كلامه ناعم .. لكن ما الذي جعله يتذكرني.

الزوجة :- سعد الصحفي بتاع الكل .. صار عنده برنامج بالفضائية .. يمكن عنده عمل لك .

الكاتب :- عمل إيه هذول لا يعترفون برأي آخر ولا حرية ولا شعب .. الله يستر .. البعد منهم سُعد .. خلاص أذهب وأشوف ولو تأخرت يعني يمكن يكون اعتقال .

الزوجة (تشجعه) :- لو اعتقال كانوا جاءوا إلى هنا .. أنت خليك دبلوماسي ولينها شوي تقدر تعصرهم وتعصر أبوهم .
يضحك الزوج، يأخذ نصف السيارة ويشعلها ثم يخرج .

في المطعم

يصل الكاتب إلى مطعم فخم يقع في شارع حدة، يسرع سعد ليستقبله، يسلم عليه بحرارة ثم يأخذه إلى ركن هادئ وخاص حيث الطاولة مهيئة ويبدو المطعم فخماً، يشير سعد إلى ثلاثة مسلحين بتركة مع الكاتب، يأتي النادل بفنجان قهوة وماء معدني ومقبلات يضعها على الطاولة، يضع سعد عدة علب سجائر ويشير إلى الكاتب أن يأخذ راحته ثم ينهض ليجري اتصالاً تلفونياً، يلتقط الكاتب أنفاسه، يتأمل المكان، يبدأ في شرب قهوته وتدخين سيجارة .

بعد لحظات يعود سعد إلى الطاولة .

سعد :- فرصة ممتازة نشوفك .. وأنت لا تسأل ولا تتصل وكم مرة قلت يا أخي معنا تكسب ذهب لكنك معاند.

الكاتب :- خيراً طلبت لقائي .. لو ترجع تعرض أن أكون معكم فهذا مستحيل، وأنت تعلم الكثير من الظلم ومصادرة الحريات والفوضى الغريبة التي تحدث.

سعد (ضاحكاً) :- نحن أبناء اليوم والواقع أنهم اليوم وبكره ومن الضرورة إن أي عاقل يسير مع الموج لا ضده .. الحرب هي الحرب عندما تشتعل بأي مكان تطول ولو خلصت سيكون لهم دورهم .. هم قدرنا .. أنت تعرف من أنا الآن؟ أين كنت وما هو موقعي الآن؟

الكاتب :- لم أفهمك؟

سعد (مبتسماً) :- الصراحة أنا كنت صحفي درجة ثالثة ونجحت من الكلية بمقبول وبوساطة الأمن السياسي وعارف نفسي ما عندي واحد بالمئة من موهبتك ورغم ذلك الآن منحوني درجة مساعد وكيل وزارة وعندي برامج في اذاعة صنعاء وقناة الفضائية وكنت مسافر ومشارك في مؤتمر .. أصبحت أكسب ذهب وأنت كيف ظروفك؟

يهم الكاتب بالنهوض :- أنا عشت كادح زمان والآن ظروف في مثل كل ظروف الناس .. أسمح لي أنصرف.

ينهض سعد يمسكه للجلوس :- حرام ثلاث من زوجاتي الثلاث والرابعة التي ما دخلت عليها إلا جلست معي، تنغدي وبعدها نروح نخزن قات ونشرب ..أنا دارى أنك مش مثل بقية بعض الكتاب يمكنوها سببرتو لما تتشمع أكبادهم..معى لك ويسكى جرائتس ريد ليبل وبلاك ليبل.

يضحك الكاتب :- والمسيرة ال.. فىن ذهبت... وأدباء السبرتو بعدين أنتم شمعتم صحفهم ومنابرهم وسودتوا حياتنا كلها.

سعد بجدية :- شوف.. أنتم.. أنتم.. أنا مش من أنتم.. هؤلاء فوق فوق فوقى وفوقك، أنا أمشي وراء مصلحتي اليوم معهم وبكرة يمكن مع غيرهم.. أنت تعرف الآن الكل يمسح أحذيتهم .. وهذول أصحاب فلان وعلان كل واحد ماسك لمصلحته.. لا وطن ولا بطيخ.

الكاتب :- أنت تعرف أنا مع الوطن والشعب .. النقاش سيطول ما هو المطلوب؟

سعد :- صح والله المطلوب نطلب غداء وبعدها نحكي .. أو ما رأيك تنغدي بشقتي الجديدة للمهام اللطيفة .. بشارع تعز بمنطقة سكنية لا تخاف من قصف ولا بعوض

يتصل سعد بأحد حرسه ثم يتحدث :- أسمع خليهم يجهزوا أكل سفري .. ربع كبش وسمك ومقبلات وكل شيء .. وأسمع كمان أكل

سفري لحم ودجاج وكل شيء للبيت وكيس ثاني مثله مع الحلويات
تأخذوه لبيت الكاتب وتعال أعطيك العنوان.

يستغرب الكاتب :- عفواً ليش لبيتي ما محتاج .. لا داعي أشكرك ...
وأظن أني صعب اخدمك

سعد ضاحكا :- يا أخي هذه مقبلات وعليها ثلاث دبات غاز مليانه
ومئة ألف ريال عربون محبة فقط تجلس معي اليوم ونحكي وبعدها تفكر ..
يخرج من جيبه رزمة من المال :- و حرام ثلاث لو ما عجبك كلامي ما
ترجع الهدية .. يا أخي الكل يشتوك، يريدونك وأنا فقط من يدافع عنك ..
الوضع خطير وحياتك مهددة والمطلوب شيء بسيط.

يتحمد الكاتب يأتي الحارس، يكتب سعد عنوان بيت الكاتب ويعطيه
للحارس مع المبلغ.

سعد :- هذا العنوان وهذا المبلغ سلمه يد بيد لأم عبدالسلام مع الأكل
وخذ لهم ثلاث دبات غاز مليانه.

الكاتب :- سعد أرجوك ما تجعلني أندم لحضوري.

ينصرف الحارس، ينهض سعد، يمد يده للكاتب لينهض.

الكاتب :- طيب ممكن فكرة صغيرة عن المطلوب.

ينحني سعد يهمس في أذن الكاتب .. قائلاً :- طفل الميزان .. هيا الآن

وبعد الشرب والغداء تفهم كل حاجة ، خلينا نروح إلى شقتي ، هناك نأخذ حريتنا في الكلام وأشياء سوف تفرحك، عندي لك حاجات لذيدة.

في شقة سعد

يدخل سعد شقته الفخمة، تسرع الخادمة (امرأة في الأربعينيات) في استقباله، يتجه مع الكاتب إلى غرفة الجلوس وتأخذ الخادمة الأكل السفري من الحارس ثم تغلق الباب متجهة إلى المطبخ القريب من ممر الدخول، ومع دخولها المطبخ تشير إلى الفتاتين الجميلتين (وردة وسمر) لمساعدتها.

وردة :- هل حضر والآن ؟

ترد سمر ساخرة :- أي هيا إلى العمل بجد واجتهاد وإخلاص وأنوثة وأكثري من الغنج والدلع

تشير إليهم المرأة بالصمت، تتحرك وردة

وردة :- أنتِ قولي نذهب غرفة النوم ..أذهب كي أجهز نفسي، لنا ساعة كاملة ونحن هنا.

تسرع سمر ترد :- غرفة النوم ..تقصدين غرفة الشغل

وردة :- سنتزوج عرفي على الأقل وإلا ..

سمر :- لا زوج ولا بطيخ الرجل متزوج ثلاثة وعامل عقد على الرابعة

تنظر المرأة إليهما بغضب وتشير بالصمت وأن تأتي لمساعدتها، تتحرك الثلاث لفتح أكياس الأكل وتحضيره.

في غرفة الجلوس

يتحرك الكاتب متجولاً في الصالون الفخم والتلفاز الكبير المعلق وجهاز الابتوب ويقرب من المكتبة، يلتقط مجلة يجدها إباحية، يصاب بالفرع.

يضحك سعد:- هذه للكبار وعندي محطة إكس إكس ال عشر محطات روعة.. يا أخي ساعة لربك وساعة لقلبك.. تعال استرح.. سأحضر شوية خمر.

الكاتب:- من أين لك هذا يا سعد؟

يلتقط سعد قنينة الويسكي ويصب كأساً لضييفه.

سعد:- هذا قصدك الويسكي من المهريين.. إخواننا كلما ضبطوا سيارة نروح نصور حرقها وأنت تعرف ما يحصل في هذه الحالات من زمان، أتعامل مع أصحابنا في مكافحة التهريب والمخدرات، نحرق المغشوش ونتقاسم الأصلي.. تعال نشرب وملي الرأس.. احنا ناس تتعب من أجل الوطن.

يأخذ الكاتب الكأس يرتشف رشفة، يشعل سيجارة

الكاتب :- هذه شقتك ؟

يشرب سعد كأسه دفعة واحدة يرد :- أخي .. الحرب مثلها هي نقمة وبؤس فهي نعمة وحظ لبعض الناس .. أصحاب المناصب كلهم كانوا يسرقون وبعدها هربوا حتى أغلب الذين كانوا معارضة بين قوسين ، الكل هربوا ولما هربوا خلو شوي .. اليمن بلد خير وبركة لكن أولاد الحرام من زمان وقرون طويلة وهم يمصون دمه .. بالمختصر هذا من فضل ربي .

يضحك الكاتب :- أنت اليوم صريح وشفاف

سعد :- شوف نأكل مع الكل ونشوف مصلحتي ونصير بطلاً، السرقة كثير من زمان والآن وبكره .. لكن الآن نسرق بشجاعة وقوة . وهناك دائرة قصدي دوائر حمراء يعني أتحرك في الدوائر المسموحة لي ... أنا لسه صغير وهذا العزفات الفتات .. الهبر الكبير للكبار .

الكاتب :- أشرب وشربني اليوم أنت تحكي كلامًا ذهبًا .. طيب وإيش

حكاية طفل الميزان .

سعد :- يا أخي ربي معطيك موهبة تخليك وزير .. أنا فاهمك وطني ومخلص .. المهم نشتي شوي من أفكارك علشان تتحول حكاية طفل الميزان إلى أسطورة إنسانية عالمية تعمل ضجة .

الكاتب :- أنا كتبت عنه وهي فعلاً تراجيديا معاصرة؛ ولكن الشعب اليميني كله يعيش تراجيديات محزنة مع كل ساعة حرب يصب سعد كأساً ثانيةً للكاتب.

سعد :- خليك من الشعب والأطراف المتحاربة. ركز لنا على طفل الميزان والصاروخ الذي ضربه ونشتي نعمل فيلماً عالمياً يصور وحشية الحادثة لتخليد الطفل.. تذكر ملجأ العامرية وكيف تحول وعمل ضجة أو صورة الطفل السوري الغريق.. وعندك أفلام الهولوكوست.. مثل فيلم أنا فرانك⁽¹⁾..

الكاتب :- والله فكرت فيه كصورة لشعب يساق للمقصلة والموت وكل الأطراف مذنبه.

سعد :- خلي فكرتك لك.. أكتب لي فكرة تعكس وجهة نظرهم الذين سيدفعون لك. وعلى فكرة الأصحاب الآخرين سيطلبون منك تكتب فكرة عنه تدين الذين جعلوه جائعاً ومشرداً هو وأهله ومش مشكلة.. باب رزق. وأنت أكتب ما تحب.

الكاتب :- ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه.. كيف يكون لي ثلاثة.

(1) Anne Frank

سعد يضحك :- ثلاثة وأربعة وبعدين الفكرة تكون باسمي هنا
وسيتصل بك صلاح من عدن .. صاحبنا الفاشل الذي مسكوه يغش
بامتحان الكلية حكيت لك عنه وأنت تعرفه .. الآن صار فوق في عدن ..
المهم أكتب لكل واحد وأنت حر تكتب لنفسك ما تحب .. أسمع خيلنا
نأكل وبعد أزوجك متعة عندي لك بنوته قمر ولي واحدة ..

الكاتب :- ايش من زواج أنت وعدتني أسمعك ومش راح تغصبيني .
سعد :- لحظة تشوف البضاعة وبعدها تفكر .

يدعه ويخرج وهو يصيح للخادمة صفية يظل الكاتب يفكر، يضع
كأسه ويدخن، يشعر بصعوبة الموقف .

الكاتب محدثاً نفسه :- يا الله والورطة .. كلامه فيه السم في العسل ..
معقول أنهم يستغلوا مآسينا بهذه الطريقة .. والله كأني أرى هذا الطفل
المسكين و ٢٩ مليون آدمياً وهم يخلفوني بالله ألا أتاجر بألمهم .. يا الله ما الحل .

بيت الكاتب، في نفس اللحظة

في هذه اللحظة تكون أسرة الكاتب فرحة وهم يجتمعون حول مائدة
وفيرة ورزمة من المال على الطاولة .

الأم :- قولوا بسم الله والله يهدي أبونا يحرك عقله .
عبدالسلام :- يعني أبي ما راح يجسوه مثل أول .

تضحك الأم :- أسمعوا ما تقولوا هذا لأي واحد.. كلام البيت يظل في البيت.

يبدأون بالأكل الذي أعجبهم وكأنهم لم يتناولوا أكله كهذه من زمن بعيد.

رقية :- لكن يا أمي ليش كل هذول الدول تحاربنا.. إحنا مسلمين مثلهم؟

تتوقف الأم حائرة :- كلنا مسلمون.. هذه سياسة لعن الله السياسة دمرت شعوبنا.

عبدالسلام :- يعني خلاص ما أروح التحرير بالميزان.. كنت أشتي أكون شهيداً وندخلكم كلكم الجنة، يحق لي أشفع لمائة من أهلي .
تقترب الأم تأخذه وتقبله في رأسه ووجهه ويديه وهي مفزوعة ثم تضم إليها رقية، تغرق الدموع خديها المشحون بكلام يعجز اللسان قوله.

شقة سعد

تبدو السيجارة محترقة بأكملها بين أصابع الكاتب، يسقط الرماد على شميزه، ينتبه، هنا يدخل سعد ومعه وردة وسمر.

سعد :- شوف الجمال وما خلق الله زينة الدنيا.. هذه وردة بنت ١٧ لي وهذه سمر بنت ١٨ لك..قسمة عدل.. أنا أصغر منك.

يدفع سعد الفتاة سمر لتسلم على الكاتب وهو يضم إليه وردة، ثم يتجه لفتح جهاز الحاسوب المحمول ويفتح برنامج سكايب ويدعو الجميع للجلوس.. يتجمد الكاتب غير مصدق ما يحدث أمامه.

يضحك سعد :- أسمع يا رفيق كله بالحلال .. سأتصل بفتي ومفتي بالسكايب وهو محضر شهود ويعقد لك حلال في سبيل الله.

الكاتب معترضاً :- لو سمحت كيف يعقد وحلال وزواج .. ايش من دين هذا نتزوج بالسكايب.

سعد (بجدية) :- أقسم بالله حلال زوج متعة أو عرفي سمه زواج مسيار المهم حلال.. تزوجها ولو ما عجبتك طلقها .. بعدين سوي معها أو لا تسوي هو الزواج أحسن من الخلوة الغير شرعية.

الكاتب :- يا عم عندك عشر قنوات قبيحة وتقل لي شرعية.. الآن احنا شاربين .. كيف يصلح؟

يياشر سعد الاتصال :- يا أخي الويسكي مظهر مدني حق الناس كلهم مش فقط عندكم يا رفاق

الكاتب :- أنت تدري أني مستقل ولست متحزب

سعد :- قصدي أنت مناضل.. (يتحدث للفتيه) آلو يا فتية جاهز خلص الزواج بسرعة.

الفقيه (عبر سكايب) :- ولا يهملك دقيقة ويكون متزوجاً وتكون البنت حلال.

يباشر الفقيه بتزويج الكاتب الذي يصاب بصدمة تفقده التركيز ويصاب بالخرس التام، تردد سمر مع الفقيه كلمة "قبلت"، يعلن ختام المراسم، تزغرد وردة وتضرب كتف سمر وتزغرد. يغلق سعد الاتصال ويطلب من صفية تجهيز الأكل.

سعد :- صفية هات أكلنا هنا وأنتم خليككم بالمطبخ.. كلوا وبعدها جهزي لكل واحد حقه.. شوف يا أخي أنت متزوج حلال.. لكن أخوك متزوج ثلاث وتورطت بالعقد مع الرابعة يعني سيكون ذنباً. ولكن ساتصدق بخروف كامل واذبحه من أجل أهل حارتي وبعدها يُمسح ذنبي.. دم الخروف سوف يغسل كل ذنوبي.

في بيت الكاتب بغرفة الجلوس

تجلس الأم تعد المال، ينشغل عبدالسلام باللعب على الآياد وتبدو لعبة حرب، بينما تجلس رقية لترسم ويبدو أيضاً أن ما ترسمه مرتبط بالحرب.

عبدالسلام :- أمي متى يأتي بابا؟

تبتسم الأم :- أبوك عنده عمل مهم قل الله يقويه ويعقله .. أبوكم رأسه قازح^(١) وصار له سنوات يكتب ببلاش .

رقية :- لكن أبي يحب الناس والناس تحبه

الأم :- أبوكم .. الله يعقله يهاديهم ويسكت هؤلاء مش سهلين ولا يجبون معارضة .

يبدو أن كلامها أكبر من فهمهم .. تدرك ذلك .. تضحك ثم تعطي عبدالسلام مبلغاً ليوصله للبقال .

الأم :- عبدالسلام خذ هذه وسلمها لعمك صاحب الدكان وخليه يخصمها وأنا سأتصل به .. المسكين سيفرح موت .

في صائون شقة سعد

يرفع الكاتب يده عن الأكل، يشعل سيجارة بيننا يظل سعد يأكل بنهم، ما تزال أصناف الأكل وفيرة، ينظر سعد لضيفه، يحثه على العودة للأكل .

سعد :- ما هو يا صاحبي؟ قلنا أنت عريس .. لماذا لم تأكل أم بطنك ألفت الأكل الخشن؟

الكاتب :- الحمد لله .. ليش كلفت نفسك؟ هذه المائدة تكفي نصف حارة .

(١) قازح أي عنيد

سعد:- أنت تفكر في الناس أكثر من نفسك.. لا كلفت نفسي ولا شيء هذه المصاريف كلها نثریات..

الكاتب :- نثریات؟

يضحك سعد :- نعم نثریات حق الصغار ..أه لو تشوف أو تسمع بنثریات الكبار بالملايين..خلّ الطبق مستورا..

الكاتب :- الناس تموت جوعی وأنتم تضربون الملايين نثریات صغيرة یا أولاد الإیة.

يضحك سعد :- ذكرني بمسرحية عادل إمام لما يقول یا أولاد الإیة.. حتى أنه طلعت منهم وأنا طلعت حمار

يتوقف سعد عن الأكل، يمسح يده الملطخة بالدهون بمنشفة بيضاء مبللة، يتأمل الكاتب هذا الفعل بتفاصيله كأنه يوحى له بصورة ذات دلالات متعددة، تظهر البقع على المنشفة ولكن يده لم تنظف تماماً مع ذلك يدخلها في جيبه ليخرج علبة بها عدة سجائر حشيش، يشعل واحدة ويعطي أخرى للكاتب.

سعد :- حشيش أصلي والذي يحتاجه الواحد بالجبهات الصعبة .

الكاتب مستظهماً :- الجبهات؟

يأخذ سعد نفساً عميقاً :- الجبهات المنتهبة بعد قليل بغرفة النوم يا رفيق وخاصة حين تكون مع بنت شابة .. يلزم يكون الوجه أبيض .. ويوجد ناس بالمعارك والخنادق هناك نار الله الموقدة .. جحيم مستعر .. ما يخفف من رعبها إلا القات ويستحقون كمان حشيشاً . بالحروب الكل ينسطل .. الله يبعدنا من الجبهات لأنه أحياناً يكلفوننا نروح نصور .. علشان هكذا أشتيت مشروغاً أظل هنا .. نفعل فيلم طفل الميزان وأبحث لنا عن مشاريع من أفكار العبقرية ونقسم الخير نص نص .

يضحك الكاتب :- خايف وتهرب من الجبهات وتسمم الناس بحظهم على الجهاد ... طفل الميزان ما هو إلا لعبة لتكسب به الوقت .

سعد (بجدية) :- قصدك أكسب حياتي .. صح ومش عيب وأنت كمان لازم تكسب حياتك و حياة عائلتك ومش راح ينقذكم إلا طفل الميزان هو مخرجك الوحيد وبطلك اللعب بالنيران .. ما بيش^(١) معارضة لا هنا ولا غير هنا ولا رأي ثاني ولا ثالث .. إذا غابت الأسود ارقص مع القردي زمانه .. اسمع أخليهم يرفعوا الأكل وأنا أشوف ذنبي الصغيرة وأنت كمان شوف عروستك الحلال .

(١) يقصد لا يوجد، ما فيش أو ما بيش كما باللهجات الجبلية وخاصة المرتفعات الشالية.

الكاتب :- أنت صدقت

سعد:- مصدق ونصر..زواج حلال ميه بالمئة..يوجد مائة نوع حلال
مثل زواج البوي فريند حق الشيوخ..على فكرة معي لك وصفة حق
الشيوخ أي العسل و حبة السوداء و خلاصة من شجرة دم الأخوين، شيء
لا يصدقه عقل.. وصفة ساحرة لتقوية الانتصاب

الكاتب:- هم شطار في هذه الوصفات

سعد:- أه والله ليتهم يتخصصون في هذه فقط ليقدموا خدمات جليلة
لل بشرية..سبع ملاعق تخليك مثل الثور الأسباني وحقك مثل حق الحمار
وتقفز مثل القرد تفعلها مع المرأة مرة وثلاث..لا فياجرا ولا دياجرا..حق
شيوخنا ما فيش أفضل منها.

يضحك الكاتب :- الثور والحمار والقرد كلهم يجتمعون في الواحد..

طيب فين الإنسانية؟

سعد:- الله عليك كل شيء تدخل فيه الإنسانية..الرجل يشقى

ويتعب و يحق له يتلذذ

الكاتب:- والمرأة؟

سعد:- أسمعني أنا أروح أشوف وردتي وأنت خليك إنساني مع

سمر..ما أشتي نظل نتناقش..هيا إلى العمل..بطل هدره وهيا للفعل.

في الحارة

يعود الطفل عبدالسلام من عند البقال ، خلال عودته يجد ثلاثة من أصدقائه بالشارع قرب بوابة دخول العمارة التي يسكن فيها ولدى كل واحد ميزانه، فيتوقف معهم ليكون بينهم حوار مدهش:

الأول :- ما هو يا عبدالسلام.. فين ميزانك؟

عبدالسلام :- أبي مش مقتنع وقال لي الشارع خطر.

الثاني :- أنا أتمني أكون شهيداً مثل طفل الميزان وتكون صوري بالتلفزيون وعلى الإنترنت.

الثالث :- أنا أشتي أكون شهيداً ويعطون أبي مليون ريال علشان يعالج أمي المريضة.. مش مهم أنا أموت.

عبدالسلام :- ليش تتمنون الموت الحرب ستنتهي ونعيش في سلام.

الأول :- من هو قال لك هذا الكلام صواربخنا ستروح إلى القمر

الثاني :- ما هو ماهو .. اليمين قوي ..

الثالث :- لو يفعلوا المستشفيات مثل البلاد في الخارج.. الناس تتعالج وأمي تشفي من المرض أحسن من الحرب.

عبدالسلام :- أشوفك حزين .. ما لها أمك؟

الأول :- مسكينه عندها سرطان وما عندهم فلوس يعالجونها.

الثاني :- هذا المرض سببه القنابل والصواريخ التي مطروا بها علينا.
الثالث باكياً :- قلبي يحرق عليها وأبي باع كل شيء من شان حق
العلاج.. أنا أروح أترزق بالميزان أحس من اللعب والمهذرة.

يسير الطفل الثالث ليقطع الطريق، يضع ميزانه على رأسها ووجهه
مبلبل بدموعه حرقة على أمه، يتابعه عبدالسلام بنظره، هنا تمر دورية عليها
بعض المسلحين، تسير العربة العسكرية بسرعة جنونية.. تجمد الأطفال..
كانت لحظة من الزمن، أقل من ثانية، ها هي تتجه نحوه لم ينتبه السائق،
كل شيء يحدث بسرعة، لم يستطع أحد أن يصرخ، تصدمه السيارة، تهشم
ميزانه، يتحول إلى حطامٍ مبعثرٍ، تعلق صرخات قوية، تتوقف العربة،
ينزل السائق وهو يسب ويلعن، الطفل جثة هامدة لا حراك فيها.

كأنه غير مصدق لما يحدث، يظل عبدالسلام مشلولاً في مكانه، يرى
ويتابع ما يحدث بالحركة الطبيعية وبدون صوت، الأفواه تصرخ لكنه
لا يسمع إلا الصمت المطبق، الطفل الأول يبول على نفسه وهو يحدق
مصعوقاً، يسقط ميزان الطفل الثاني.

يسير أحد المارة نحو الجثة ليصورها، هنا يطلق أفراد الدورية طلقات
نارية في الهواء، يهرب من يهرب من المارة.

يصرخ قائد الدورية :- ما فيش تصوير بالموبايلات وأقسم بال لو
واحد أخرج تلفونه أرميه بمائة رصاصة.

يتجمد الناس، يأخذ أفراد الدورية الجثة وهم يطلقون الرصاص.
 هنا تظهر أم عبدالسلام وهي خائفة.. يظل عبد السلام متجمداً تصرخ
 في طفلها، يظل صامتاً ومصدوماً، تحتضنه بقوة وهي تبكي، تحمله وتسرع
 بدخول بوابة العمارة.

صائون شقة سعد

تدخل سمير بلباس جميل ومثير، تحمل مبخرة بيدها، يتعالى الدخان
 ليتحاور مع الضوء وجمال وجه سمير مع موسيقى وصوت أغنية صناعية
 أصيلة؛ لترسم أجواء فردوسية مذهشة تزينها ابتسامة سمير وخطواتها
 الهادئة نحو الكاتب الجالس على الأريكة، تتمايل سمير بهدوء، ثم
 ترقص فرحة، يتأمل الكاتب رقصها، يبتسم، يعيش لحظة حلمٍ في زمن
 الفجائع... يتمنى ألا تكمل رقصتها.

في غرفة جلوس بيت الكاتب

يجلس الطفل عبدالسلام محققاً في اللاشيء صامتاً لا يتحرك، صوت
 لعبة سيارة الإسعاف يضيف للموقف تأثيراً خاصاً، الطفل يسمع فقط
 هذا الصوت كأنه يأتي من بعيد، تستمر أمه في محاولاتها لحضه على الكلام.
 الأم :- حبيبي تكلم.. تكلم.. أبكي.. أصرخ.. حبيبي أنا معك.. أنا
 أمك.. عبدالسلام تكلم.

يظل الطفل من هول الصدمة عاجزاً عن الكلام، يرى فم والدته يتحرك، تبدو رقية خائفة ومختبئة تحت الوسائد، تحاول الأم أن تتصل بزوجها، يبدو هاتفه خارج التغطية، ترتبك ثم تتماسك، تفكر، تحمل طفلها إلى الدوش، تسير رقية خلفها، تضع طفلها في البانيو تنزع ملابسه، تجلسه، تبدو هادئة، تغسل جسده وهي تغني أغنية مشحونة بالحنان.

في غرفة نوم سعد

يخلع سعد ملابسه، يحتفظ بسر واله الداخلي، يضع منشفة على خصره. يأخذ علبة خلطة العسل المقوي، يتأمله، يفتحها، يأخذ لعقة بطرف أصبعه السبابة، يتذوقها، يتلذذ بها.

سعد:- الله وطعم الخلطة، نأخذ سبع لعقات، البنت صغيرة وفرسة محتاجة فارس.. يا الله بيض الوجوه لعاد تضحك علينا وردة. هي تتجهز وأنا أتجهز لك.

ثم يغرس ثلاث أصابع يده اليمنى ويلعق الخلطة، يكرر الفعل عدة مرات، يكون منظره مقرزاً، يمد بيده اليسرى أسفل المنشفة ليدلك عضوه الجنسي، يستمر باللعق والتدليك، تبدأ السخونة تظهر على وجهه.. ثم يأخذ منشفة بيضاء صغيرة مبللة، يمسح أصابعه الملطخة بالخلطة، تظهر أثر البقع كأنها لون دم على المنشفة.

هنا تظهر وردة بلباس مثير ومغري، تحرك رأسها ليتموح شعرها الملون الأشقر، يفتح سعد فمه، يتأملها، تتمايل في غنج، يمسك بها، يشم شعرها، يلحق خدها، يهبط يلحق كتفها ثم يهبط إلى الأسفل، يستمر حتى يصل إلى، يدخل رأسه بين ساقها، يعود ليقف مقابلاً لها، تبسم له.

وردة بصوت خافت :- هل أعجبتك؟

يضحك بهدوء :- عجبتيني ونص .. فين كنت من زمان ... من فين

تعلمتي هذه الصياغة؟

تضحك البنت :- بعض مما عندكم .. أنا أعرف أرقص غربي وشرقي ..

إيش تفضل؟

يزداد سعد إثارة :- هات غربي الموت للأعداء.

تتمايل، ترقص رقصة غربية مغرية، يزداد شبقاً، تصعد وردة على السرير، تبدأ بفتح أزوار شميزها العلوي بهدوء، يحدق فيها بشهوانية، ترميه بشميزها، يقع على وجهه، يشمه، تنزل وردة لتلاعبه، تغطي صدرها بملاية السرير البيضاء، يركض كالثور الهائج يدفعها على السرير ثم يرمي بالمنشفة التي تغطي جزئه السفلي ويهجم على فريسته.

في غرفة الجلوس بشقة سعد

تكمل سمر رقصتها، تقرب بمبخرتها، تبخر شعرها ثم الوشاح

الحريري الأبيض الطويل الذي يوجد على رأسها وكتفيها، تضع المبخرة بعيداً، تجلس بجانبه، يتراجع قليلاً.

الكاتب :- ما حدث ليس زواجاً ولا شيء..

تقاطعه :- أنا قابلة.. نعم أقبل بك ولي الشرف أن أكون خادمتك وعبدة تحت رجلك..

الكاتب معترضاً :- ايش هذا الكلام.. يظهر أن سعد محفوظ هذا الكلام أو مهددك بشيء.. أنتِ حرة وملكة نفسك.. انتهى عصر العبودية. ترفع سمر رأسها :- أولاً ما هددني لا سعد ولا غيره.. ثانياً عمري ما كنت حرة أو ملك نفسي.. أنا وغيري كثير.. الآن مع الحرب ما بقى لنا وزن.. أنا، أنا بنت أصول لكني صرت الآن مهمشة ونازحة والحياة سوداء وكئيبة.. لكن من شوفتك وصرت زوجي شعرت أنه سيكون لي وزن وقيمة لأيام أو حتى ساعات لأنك رجل نبيل ومثقف وكاتب..

الكاتب :- أنتِ تعرفيني؟

تبسم سمر :- قريت لك وشوفتك مرة تحكي عن المضطهدين والأقليات والمهمشين والفقراء وضحايا الحروب.. ما مصدقة نفسي أني معك وزوجتك.

الكاتب :- زوجتي؟ قلت لك..

تقاطعه، تقترب ثم تمسك بيده،

سمر :- زوجتك نفسي.. أقسم بالله وهبتك نفسي وحللت لك جسدي.. ماذا بعد هذا النبي قبل وأخذ امرأة وهبته نفسها.. أرجوك لا تحرمنى لحظات قليلة من السعادة.

الكاتب :- السعادة ستجدينها مع شاب مثلك يحبك وتحبينه .

سمر (بحزن):- واحد مين وشاب مين يحب بنت... ومطلقة.. أنا لا أملك إلا هذا الجسد والرجال يريدونه هو فقط.. أنا قرئت بعض قصصك عن بؤساء وتراجيديات عاطفية.. صدقتي قصتي قصة طويلة أتمنى تقبل تسمعها وتكتبها وأنا واحدة من مليون وخاصة مع الحرب.. الرجال يموتون في الجبهات أو القصف والنساء تزداد معاناتهن.. أنت تعرف ما يعني مطلقة وأرملة ويثيمة.. أن تجتمع بي هذه المصائب وفوقها أني بدون عائلة.. فين العدل والميزان.

تبكي سمر، يمسك بيدها، تضع رأسها على كتفه، ينظر إليها.

الكاتب :- كلام كبير.. شوفي مها ظلت ليالي الظلمة لازم من فجر ونور وشمس ونهار.. تفهميني .

تضحك سمر :- طبعاً أفهمك لكنك متفائل أو مش فاهم الدنيا.. أنا رضيت بنصيبي وقدري والآن وجودك وزواجنا أجمل هدية سماوية.. حرام تحرمني منها.. ساعة فرح يا ربي.. يا ربي موتني ولا تحرمني منها.

تلطم وجهها وتبكي وهي تردد العبارة الأخيرة «ساعة فرح يا ربي.. يا ربي مونتني ولا تحرمني منها».. يزداد المشهد تعقيداً، يحاول تهدئتها، يمسك بيديها، تظل تنهد، تنظر إلى عينيه، يتسم لها، ترتمي في حضنه، يداعب رأسها، تأخذ الشال تضعه عليها كأنها تريد تغطية هذه اللحظة لتكون لها وحدها، تشعر بالسعادة، تقدم له شفيتها حاملة بحوارٍ من نوع آخر.

غرفة النوم في بيت الكاتب

تجلس الأم على سرير النوم محتضنة طفلها عبدالسلام الملفوف بمنشفة بيضاء تغطي جسده كاملاً وهي تقرأ سورة الفاتحة بصوت خافت، تتأمل الطفلة رقية المنظر كأنها أمام لوحة فنية حزينة فالأم تحتضن طفلها وتمشط شعره بحنان لكنه يظل صامتاً وهي تمسك بعربة الإسعاف الصغيرة الذي ضعف صوتها، صوت اللعبة يمنح الموقف تأثيراً خاصاً، الطفلة تضرب بهدوء عربة الإسعاف وتتمنى ألا يصمت صوتها.. تبسم لها أمها، تنظر إليها ثم تشير لها أن تقترب، تقترب الطفلة لترمي هي الأخرى بحضن أمها للحظات ثم تطرح عليها بعض الأسئلة .

الطفلة :- أمي ليش يتحاربوا ..واحدة صاحبتني قالت لنا إنه ..صنعاء وعدن بلد واحد..صح أو مش صح .

الأم (بألم) :- صح صح يا أبنتي صنعاء وعدن بلد واحد

الطفلة بعفوية :- بلد واحد ويتقاتلوا .. هذا حرام .. ايش هذا جنون ..
ما لهم جنوا؟

الأم :- الله يهديهم يا بنتي .. هذه سياسة .

الطفلة :- متى تنتهي الحرب .. أنا خائفة .. عليك وعلى أبي وأخي وعلى
حارتنا .

الأم تشد الطفلة إليها، يقوى صوت اللعبة تفرح الطفلة وتمد بها إلى
عبدالسلام .

الطفلة :- ابصر واسمع أخي صوت سيارة الإسعاف قوي الآن
.. تحب نأخذك للمستوصف .. خذ السيارة هدية مني لك .

ينظر الطفل إليها وتكون المفاجأة أنه يرد عليها .

الطفل :- لو كان عندي سيارة إسعاف كبيرة كنت أسعفت صاحبي .
تفرح الأم وتنفعل لأنه تكلم أخيراً

الطفل :- أمي صاحبي قال يشتي يموت مش مهم لكن يعطوا لأمه
مليون ريال تتعالج .. هل الذين دعسوه سيعالجون أم صاحبي، مسكينة
المریضة تموت؟

يختلط الفرح بالألم والبكاء بالضحك كلها تمتزج مع بقاء صوت لعبة
رقية حاضرراً رغم ضعفه .

غرفة نوم سعد

بينما ترقص وردة على سرير النوم وهي تلف حولها ملاية سرير بيضاء وتغري سعد بكشفها لساقها ثم جزء من فخذها وشيء من صدرها. يكون سعد واقفاً بعيداً عن السرير يتابع رقصها ويده علبه الخلطة ثم يعود يغترف منها بأصابعه ويلعقها، يتذوقها ويمضغها متلذذاً وبشكل متهور ومقزز.. يتحدث مع نفسه.. كما أن يده اليسرى تزحف لتدليك أشياءه الذكورية.

سعد :- يا الله بالقوة وما أحلاك يا خلطه.. البنث هذه فرسه ..كملنا الشوط الأول وباقي الثاني ..

يستمر في فعله وترديده عبارة «كملنا الشوط الأول وباقي الثاني».. تنزل وردة لتذهب إلى الحمام مع مرورها من جانبه تكشف عن ساقها ثم بداية فخذها، تقرب أكثر وعندها يلتف سعد وراءها ثم يضر بها على مؤخرتها تضحك بمجون ثم تسعى نحو الحمام وهي تتلمس مكان الضربة حيث ارتسمت أصابع سعد الملطخة بالخلطة التي يأكلها، يضحك سعد ويظل يرد عبارته: «كملنا الشوط الأول وباقي الثاني»... هنا يرن تلفونه بنغمة خاصة، مع سماع النغمة تتغير ملامحه ويخرج يده اليسرى ثم يدع الخلطة ويلتقط منشفة مبللة بيضاء يستخدمها لمسح أصابعه.

يسرع بالرد، يقف ثابتاً مما يدل على أهمية الاتصال :

سعد :- نعم سيدي ..أوامركم ..ما هو ..جولة إعلامية بالجبهات، لكن سيدي أنا خبرتكم عن فيلم طفل الميزان حيقلب العالم ..شهر ويكون جاهز و مترجم بكل اللغات .

يبدو أن المتصل من جهة عليا، تكون وقعة سماعه الذهاب إلى الجبهات مربكة، يتلقى أوامر يحاول إقناع المتصل .

سعد :- لو ممكن تكلفوا واحد ثاني وأنا أظل بصنعاء عشان الفيلم ... ما هو الليلة ..الأوامر من فوق ..

هنا يهبط الخبر عليه كالصاعقة، يرتعد جسده وهو يستمع لتفاصيل أكثر، يتبول على نفسه من شدة الخوف .. ينتهي الاتصال وهو يردد: «حاضر ..حاضر سيدي»، يرى ما حل به ومنشفته المبللة، يتجه للسريير ويجر ملاية يلفها على جسده تاركاً المنشفة المبللة على السجادة الأرضية المفروشة، يلف جسده كأنه يشعر بالبرد أو كأن لفحة الموت تصفعه، يسمع صوت معارك الجبهات وصخبها وازيز الرصاص، يدور حول نفسه صامتاً ومصدوماً ثم يبدأ يهذي بصوت خافت .

سعد :- الجبهات الملتهبة .. والمصيبة ..جاءك الموت يا ظالم ..أوامر عليا من فوق ..يظهر أن صلاحياتي انتهت عندهم ..يعني موت ..موت ..والله أحس بضربة الموت على رأسي .

سمر والكاتب

في هذه اللحظات، تكون سمر في قمة سعادتها مع الكاتب، تخلع نفسها من صدره لتفشي له سرًا.

سمر :- سأخبرك بسر خطير لا تخبر البغل به.. نحن نسميه البغل ولو أخبرته سيقتلني.. قبل أسبوع كنت هنا أنا ومجموعة بنات وكان البغل عامل حفلة كبيرة لناس مهمين وكان معهم حقيبة مليانة دولارات علشان يتقاسموها ولما شربوا ودخنوا ما كانوا في وعيهم.. أنا هبشت عشر رزم وخليتها تحت المقاعد وقلت إذا انتبهوا راح يجدوها، لكن يظهر أنهم ما انتبهوا المبالغ كبيرة.. المهم بعدها أخذتها وأخفيتها بمكان أمين.. والآن أنا زوجتك سأعطيك الدولارات تتصرف فيها وتستأجري شقة صغيرة غرفة وصالة ومطبخ صغير، تكون تأتي عندي وتكتب براحتك وحتى لو أنت ما تريد نام مع بعضنا سأصبر وأقبل أكون خادمتك وتنقذي من هذا الوحل.. ما عندي أهل ولا قبيلة ولا أحد سيسال عني.

يحاول الكاتب أن يقنعها أنه ليس زوجها. تبكي وتهدد بالانتحار، تأخذ هاتفه وتسجل رقمها وتتصل بهاتفها وتحفظ رقمه.

سمر :- غدا الساعة الخامسة سأنتظرك بمنتزه عصر^(١) وأقسم بالله إذا لم تأتي سأنتحر.

(١) منتزه عصر بصنعاء وأعلى جبل عصر يطل على العاصمة

هنا يخرج سعد وهو في حالة غضب وهيجان وعندما تقترب منه وردة يشور ويقوم بضربها وصفعها ويأخذ الحزام الجلدي ليكمل الضرب، تصرخ الفتاة وتستغيث ثم تخرج إلى الصالة تستنجد بالكاتب، يكون الدم ينزف من فمها وأنفها، يخرج سعد ويصرخ فيها وفي سمر ويطردهما بعنف، تأتي الخادمة وتُسرع بأخذ البنيتين.

يحاول الكاتب تهديئة صديقه الثائر والمرتبك ويحاول فهم ما يحدث.

سعد وهو يضرب رأسه :- خلاص يا صاحبي إلى جهنم الحمراء.. يريدوني أذهب إلى الجبهات وفين إلى جزر البحر الأحمر والتي من الممكن كلها تصبح جزر جهنم في أي لحظة.

الكاتب :- متى طيب .. خذ نفس وقل لي التفاصيل.

سعد :- أسمع هذه الشقة مدفوع ايجارها لمدة سنة خذ المفاتيح وأرجوك أتوسل لك أكتب لنا شيء أفكار نقدر نقنعهم بها.. يلزمني خلال ساعتين أسلمهم نفسي للمهمة، لو وصلتني أفكارك متأكد مليون بالمليون سيكلفوني بطفل الميزان وشوف لنا من قصصك وقصائدك عن الحرب والموت وأنا أخلي لك بالدولاب مليون ريال وكم ألف دولار ومش عارف أيش.. المهم ترسل لي أفكارك بالواتساب.. أنا أروح اتجهز وهذا المفتاح وكل شيء ملك لك.. سأكلم الخادمة أو خالص تروح بعد حالها وأنت حر .

يسرع سعد إلى غرفته ليجهز نفسه، تكون البنتان قد لبستا ثياب الخروج.

يخرج سعد ويصرخ بالخادمة.

سعد :- أم حسناء .. خلاص راح أسلم الشقة، خذي حاجتك والله معك.

يشير إليها أن تقرب، يعطيها رزمة من المال.

سعد :- تحاسين البنات والباقي لك وأنسوا هذا المكان وأي شيء حصل فيه، أمسحوا كل شيء من رؤوسكم وإلا نقطعها لكم .

وهي تودع المكان، تلقي سمر بإشارة من عينها اليمنى إلى الكاتب، كأنها تذكره بموعد الغد، كانت جادة جدا وهي تتحدث عن الانتحار وحملته مسؤولية جسيمة وهو الشخص الذي لا يريد أن يكون شريكا في إزهاق أي نفس بشرية، هذه الأسئلة خالجتها فعلاً وأخذت القرار مع اقتناع تام أن حياتها مليئة بالفوضى والفراغ الغير مهم، وكأنها تريد أن تكون في تفكيره وبطلة في إحدى قصصه وكتاباته أو حتى في خواتمه العابرة.

الفصل الثاني

وهو يضع خطواته الأولى بالحي، يشعر أن الفراغ يغتال كل شيء: الأبنية والبيوت والأرصفت وحتى الكلاب المتشردة الجائعة تبدو حزينة ومنكسرة، لم يفهم الكاتب ما الذي يحدث بالحي الذي يسكنه والذي لا ينام. ورغم الظروف القاسية التي يعيشها الجميع فإن الرغبة في الحياة لم تكسر لها سنوات الحرب الطويلة وقلة مصادر الفرح، في طرف الحي يوجد (بوفيه العم سعد الله) صاحب اللكنة التعزية التي يخلطها بكلمات وعبارات صنعانية وحديدية وعدنية وحتى مصرية وعراقية في بعض الأحيان، وهو صاحب نكتة ويجيد نسج شيء من الشعر الشعبي المخلوط بعدة لهجات.

يجد الكاتب أن المقهى مغلق وهي حالة نادرة وكذلك بقالة العمراني مغلقة، كل شيء صامت. حتى القمر الذي يبدو كالعرجون القديم في السماء يهرع ليقذف بنفسه في كومة من السحب الداكنة.

بالبيت، مع دخوله وتقدمه خطوتين في بحر من العتمة لم يعهدها فزوجته لا تميل إلى العتمة المطلقة، تشعل ولو شمعة واحدة صغيرة كونها تتفائل بضوء الشموع والريحان ووجود النعناع والأرز والبلح بالبيت، يكمل خطواته بهدوء إلى غرفة النوم ولا يجد أحداً، يُسرِع إلى غرفة

الأولاد فيجد زوجته وطفليه عبدالسلام ورقية ثلاثتهم بركن بالغرفة حيث بعض الألعاب ويتدثرون ببطانية واحدة.

يقترّب بهدوء، يضع يده برفق على يد ثم كتف زوجته، تشعر بحضوره، تفتح عينيها، تبسم.

تحاول أن تنسلخ برفق من طفليها، هو يأخذ رقية إلى سريرها ثم عبدالسلام، هي تعاود وتدثرهما برفق ثم ترسم قبلاتها.

يظل واقفاً للحظات يتأمل المشهد، تقترب منه، يمسك بيدها اليمنى ويقبلها، تلتصق به، لا تفزع من رائحة الخمر التي تفوح منه ومن عاداتها أنها توحى له بجهلها من هذه الرائحة رغم أنها أصبحت تكاد تكون خبيرة في أنواع الخمور والنيذ؛ رغم إنها لم تتذوق ولو رشفة واحدة في حياتها.

في غرفة النوم

مع دخولها غرفة النوم، يقودها إلى سرير النوم ثم يسارع بخلع الجاكيت وملابسه على مشجب الباب، يلبس المقطب التهامي وشمير النوم ويأخذ علبة السجائر والولاعة، يسير بخطوات هادئة نحوها.

هي :- عبدالحميد، تزوجتك بعد قصة حب وعشق تشبه قصص العشق الكبيرة وكانوا يسموننا ليلي وقيس، اسمي سرية والكثير من الناس تجهل اسمي، حتى أطفالنا لا يسمعونك تناديني (سرية). فقط

يسمعونك تنادينني قبيتي وقلبي وروحي...تزوجتك رغم عدم موافقة كل أهلي وكأنهم خافوا أن نفعل الفضيحة ولذلك قبلوا بزواجنا وبعد ذلك هجروني وحتى حرموني من ميراث أبي، مات أبي ولم أحضر لحظة تكفينه ولم أقبل جبهته ويديه وأعطر جسده وأبكي عند رجليه لحظة رفع الجنازة.

يظل هو في حالة صمت ليسمع هذا البوح.

تكمل :- خمسة عشر عامًا من الحب والجوع ولم أطلبك فوق طاقتك وأعتني بالبيت والأطفال وأنتم دنيائي ونسبي وعشيرتي، وأعلم أن أهلك هناك من بقي بالحديدة لم ولن يحبوني وكانوا يريدونك أن تعود إلى مدينتك وتزوج من فتاة تختارها لك أمك وأخوتك ويجمع الكل على صلاحيتها ويعتبرونك خيبت أماله، وأحببت جبلية ليست حتى فاقعة البياض وليست بعيون زرقاء ولا خضراء ولا بنفسجية. لما صارت الحادثة بكيتهم أكثر منك، كأن الناس اعتبروني فال نحس.. حدث ما حدث بعد آخر زيارتنا لهم بأسبوع واحد فقط.

أنا أحبك وأنت كل حياتي، وفي هذا السكن المتواضع رزقنا الله بعبد السلام ورقية وأتم نعمته علينا.

هنا كان يحضر أصدقاءك، استقبلنا الفرنسي والكندي والبريطاني والهولندي والعراقي والسوري والمصري والخليجي، كتابًا وأدباء

وشعراء وباحثين. وكنت أمضي ساعات طويلة اعد الطعام والحلويات والعصائر والماء المبخر، كانوا يأتون للأكل والشرب وقد يأخذونك معهم لتساعدهم في أبحاثهم أو مقالاتهم لأيام، وكان الغالبية منهم بخلاء، تذكر باتيس صديقك الفرنسي كنت تشتري له القهوة والبخور والبهارات عند كل سفرة له إلى فرنسا وكان يعود ولا يتصل بك ولا يحمل ولو ربع كيلو من الشوكولاتة أو حتى حبة زجاجة نبيذ. وكأن الغالبية كانوا يقلدونه: خذ ولا أحد منهم يعطي لا عربي ولا إفريقي ولا أوروبي ولا أمريكي..لم يكن لك حظ في الأصدقاء.

هو، يهمس بلطف :- حبيبي

تقاطعته :- أسمع خلاص بعد حادثة اليوم كما يقولون ليس لنا عيش ولا حياة هنا.. أبعث إلى هؤلاء في عشرين عاصمة بالكون أكلوا وشربوا وحتى ناموا هنا وقدمت لهم مئات الخدمات المجانية قبل الحرب وخلال الحرب وهم يستفيدون وأنت في نفس المكان ولا أحد منهم قام بالتفكير وأن يرسل لك ولو مائة دولار وهم من يحتاجونك يطلبون منك تكتب لهم وترسل لهم صوراً ومواضيع ودراسات وأغلبها ينشرونها بأسمائهم ولا يذكرونك لا في الطين ولا العجين.

الآن يلزمك تشوف ولو واحد منهم فيه ذرة عرفان بالمعروف من شان نترك هذه البلاد..خلاص بعد حادثة اليوم ما في أمان على حياة أطفالنا.

تبكي وتنفعل ثم تشير إليه أن يدعها تكمل.

هي :- ما أحد يدري طاقم عسكري أو شرطة أو طاقم شيخ أو أحد من تجار الحرب .. دعسوه، قتلوه وهو يحمل ميزانه الصغير.. كان يقول لعبدالسلام سيأتي صاروخ يقتلني وسأموت شهيداً ويعالجون أمي بالمجان.. قتلوه الطفل المسكين وأخذوا جثته وأطلقوا الرصاص بشكل عشوائي والناس كلها هربت.. قتلوا طفل ميزان.. كل حلمه أن يموت بصاروخ ويصبح شهيداً ويعالجون أمه المريضة بالسرطان... أنت فهمت شو صار؟

يبدو أنه لم يستوعب القصة كاملة لكنه بدأ يحاول أن يستخدم خبرته وتقنياته للفهم أكثر.

هي :- مروان بن جارنا السويدي، زميل عبدالسلام بالصف السادس دعسه طاقم مسلحين وأخذوا جثته ككلب ميت، لا أحد يعرف من هؤلاء، عسكري أو طاقم وحرس واحد من المتنفذين أو تجار الحرب أو من أصحاب المال أو من المنافقين.. كان الولد يحمل ميزانه البسيط وبطن أن موته سيكون بصاروخ أو قذيفة من السماء.. كان يلح بالشهادة فقط يعالجون أمه من السرطان.. الله يصبرها والحارة كلها من وقت الحادث مظلمة.. عبدالسلام فقد النطق لساعات وأنا خائفة عليه، من بكره

خلاص ما فيش مدرسة ولا مغادرة للبيت أنا راح أعلمهم بالبيت،
نقلهم تعليم منازل، ما عندي ثقة حتى أفتح النافذة.

يتخيل المشاهد وكل ما حدث بتفاصيل دقيقة ويكاد يرى بريق عيني
الطفل مروان وهو يمسك بميزانه، يرى غضب قاتليه وكأنه هو من
اعترض موكبهم وهاجمهم، يشعر بتلك اللحظة وجسد مروان ينضح
بالبرودة ثم الرعشة والرجفة وربما صرخ أو تتمم يستغيث بأمه، كأنه
يتخيل المشهد الأخير في رأس مروان وقبل أن تسدل ستارة نهاية الرؤية
والأحلام، من المؤكد صورة أمه ووجوه أصدقائه وثقل ميزانه الصغير
ولربما تمسك بميزانه إلى أن فقد قوته على القبض والإمساك، كأن ملائكة
لطيفة تنزلت لحظتها لترحب به ولعله فتح فمه مبتسما وربما سألهم بقوله
وأمي هل ستعالجونها ويشفيها الله أم ستهبطون مرة أخرى لأخذها، كأن
هذه الملائكة لا تملك ردا ولا سلطة ولا تحقق الأمان، هي مرسله لتستقبله
كما استقبلت طفل ميزان ميدان التحرير وعشرات الآلاف من الأطفال
الذين أكلتهم الحرب وكل طفل كان يخبر الملائكة المرحبة به بكل أمنياته
ولكنها مجرد رسل لطيفة ولا تملك لا قوة ولا قرار وربما أن البعض منها
طلب نقله إلى مهمة أسهل من هذه المهمة الصعبة حيث تشعر الملائكة
بعجزها وربما تفقد بعض نورانيتها.

تميل برأسها إليه وتضعه في صدره، ينحني ليقبلها بمودة ورفق، لم

تعاتبه على رائحة الخمر ولم تسأله عن تفاصيل ما حدث مع سعد وكأنها تعرف برفضه للعمل مع شخصيات أمثال سعد والذين يتكاثرون بصورة مرعبة، لكنها اشتمت الياسمين وطيف امرأة تقرب منه أو جلس بجواره، كأنها تشعر بأنفاس سمر داعبت يديه.

تعرف أن أمثال سعد يبيحون لأنفسهم كل شيء وأن ليالي حمراء وزرقاء وأضواء ونساء يمكن أن تحدث في جلسات العمل الخاص، وكان زوجها يحضر حفلات مختلطة خاصة ببعض المراكز الأجنبية وسافر في مرات كثيرة إلى سقطرى وجزر بعيدة بالبحر الأحمر مع مجموعات كانت مختلطة وتعرف أنه لم ولن يفكر أن يلمس أي امرأة غيرها، مع ذلك وكعادة النساء، نظرت إلى عينيه وكأنها تريد أن تستكشف إن كانت تخفي وجها نسائيا وكأنها لمحت همسات سمر وبريق عينيها وتفاصيل وجهها الذي داعب وجهه.

ترفع رأسها وتستدير لتهرب من رؤية امرأة أخرى وتمتم :- رائحة ياسمين.. وفتيات؟

يدرك هو تماما قدرتها الخارقة وقوة حدسها ويعلم أنها ستشعر بهفاف رقصة جسد سمر يلامسه، لديه ثواني قصيرة ليشرح لها ويكاد يعترف لها بكل ما حدث ويحثو على قدميه ليطلب العذر.

يرد عليها ليطمئنها :- كما تعلمين أخذني سعد إلى جلسته مع آخرين

وهناك بعض الخادמות وواحدة منهن رققت.. كانت الفتيات يحملن عقود الياسمين وينثرنه في المكان.. تعرفين أنا أشرب وأشرب فقط مع سعد وغير سعد.

تشبث بهذا التطمين، ترمي برأسها على الوسادة وكأنها سحبت جسدها الملتصق به ما يقرب السنتيمتر أو أكثر قليلا.

غرفة سمر

تعود سمر إلى غرفتها الباردة، في بيت القوادة أم الجميلات هكذا يسميها الزبائن، هذا البيت والذي يقع في صنعاء السفلى، الحارات غير المرئية التي ليس لها أسماء ولا شوارع مخططة ولا أرقام للأبواب ولا يملك أغلب ساكنيها وظائف ولا بطاقات شخصية.

تذكر سمر وجه والدها الحجار والذي كان يعمل في نقش الحجارة ويعيل بيته ويلبي كل طلب ابنته سمر، سمر التلميذة المجتهده بالصف التاسع وذات الصوت الذهبي والجسد الجميل الأنيق والمحبة للقراءة وحفظ الشعر والتغني به في حفلات المدرسة والكل يصفق لها ويمتفون سمر الحجار وكأنهم يربطونها بأسم الفنان المصري علي الحجار.

تعلم سمر أن لها أصل ولم تكن من الفئة المهمشة، اليمن من البلدان التي فيها تصنيفات وطبقات اجتماعية متعددة ففيها طبقة الأسياد ثم العرب، بعدها تأتي تصنيفات لطبقات دنيا ومهمشة كالأخدام ذوي

البشرة السوداء وبعض أصحاب المهن المحترقة كالحلاقين والجزارين والزبالين مهن متعددة مثل مهنة الدباغة وإصلاح الأحذية والقائمة تطول، أي المهن ذات المكاسب القليلة فمثلاً أصبح بمقدور الجزارين الكسب وشراء بيوت بمناطق خارج الهامش وفي بعض مناطق اليمن هم خارج التصنيف المهمش ولكن في صنعاء قد لا يقبلون تزويج بناتهم لجزار أو حتى ابن جزار أو اسكافي.

تتذكر سمر أحلامها بعد أن نجحت بالتاسع واشترى لها والدها ملابس وكراسات الصف الأول ثانوي، ثم يداهمها مشهد قدوم والدها محمولاً بعد تعرضه لحادثة عمل هشمت ساقه اليمنى وتلقى إسعافات أولية بسيطة بإحدى عيادات التمريض ثم حملوه إلى بيته، ليلتها داهمته الحمى ثم سلم الروح إلى بارئها قبل أن تشرق شمس أول يوم دراسي لسمر.

يعود شريط تلك الذكريات وتتسارع الأحداث البائسة، مات الحامي لسمر والمحامي كما تسميه خالتها زوجة والدها، فقدت سمر الطفلة أمها واضطر الأب ليتزوج وكان شرطه أن سمر فوق كل شيء وفعلاً كانت الخالة تعامل سمر بلطف أو تتصنع ذلك وكأن سمر قبلت بهذه المعادلة. بعد شهور قليلة من موت الأب وجدت سمر نفسها مجبرة أن تعمل كخادمة في بعض البيوت، وبعد سنة، تزوجت خالتها من رجل أصبح

هو سيد البيت وأباً لأخواتها الصغيرات الثلاث من أبيها، تعقدت حياتها وأصبحت مطمعا لكل نظرة شهوانية، هي أصبحت امرأة كاملة، ناضجة ومثيرة جدا.

انحدرت سمر والكثير من الفقراء إلى التهميش والسبب ليس الأصل ولا الدم، فقد أصبح الفقر هو الذي يدفع شرفاء إلى الدرك الأسفل من التهميش، ثم حدثت الحرب لتزيد الفقراء جرعات مضاعفة من الفقر والحرمان والتهميش وضياح الأحلام.

زوج الخالة باعها بيعة مرعبة باسم الزواج إلى سالم التاجر والذي أصيب بمرض جلدي خطير لم تجده له عائلته علاجا وحتى لا تخسر العائلة المال لعلاجها بالخارج فقد فكروا أن يضعوه في بيت بإحدى الحارات غير المرئية وأن يزوجه بفتاة تكون الخادمة والمرضة، تم العقد وأخذ أولاد سالم الأوراق وزفوها إلى الرجل الستيني المريض الحزين، يأتون إليها بالقليل من الطعام وبعض الأدوية والمسكنات وتحملت بهذا المصير في بيت بل في قبر مظلم وبارد ومع رجل يأكل الدود جسده ببطء شديد وكأنه يتلذذ بتعذيبه، كان الحزن يكبر ويكبر في قلب الرجل الذي جمع الأموال والعقارات لتكن نهايته جحود زوجته وأولاده ولم يكن أحد يأتي لزيارته فقط يرسلون بعض الأشياء ويضعونها عند عتبة الباب ويسألون إن كان مات، هو تمنى الموت وسأل الله أن يلبي دعوته وتمنى أن تأتي قذيفة

أو صاروخ ليدمر هذا البيت القبر، لكنه أحب سمر وكان يخاف عليها من العدوى وأن يطمع الدود في جسدها الحي الجميل، سلمت سمر بالقضاء والقدر ولم يكن يسليها إلا راديو قديم لتسمع بعض الأغاني وتردها وتحفظها وكانت نادرا ما تخرج إلى صنعاء المرئية ومن الأسواق الشعبية والأرصفة كانت تشتري بعض الكتب وذات مرة اشترت مجموعة قصصية للكاتب عبد الحميد وأعجبها أسلوبه ولغته وحكاياته ولم تعتقد أن تلتقيه وتلامس بكفيها أنامله الشاعرة.

سنوات عديدة بالقبر والدود والرجل الحزين المحتضر إلى أن جاء ملاك الموت ليخلصه من كل تلك العذابات القاسية، بعدها أخذه أولاده وأقاموا له جنازة جيدة وعزاء استمر لبضعة أيام وتركوها لتنظف البيت من الدود وروائح الموت ثم طردوها وأخبروها أنهم طلقوها من أبوهم قبل موته.

خرجت من التجربة بجسد هزيل وكأنها شاخت وهرمت بوقت مبكر، ثم قذف بها القدر قبل ثلاثة أعوام في يد أم الجميلات.
كأنها تستعيد هذا الشريط من الذكريات وتحاول تنظيمه لتحكيه وتفصيل أكثر للكاتب ليخلق من قصتها رواية أو يفتتها إلى مجموعة من القصص أو يفعل ما يراه مناسباً.

حارة الكاتب

في حارة الكاتب، بالصباح الباكر تعالى الصراخ من بيت جارهم السويدي، وعند مدخل البيت يقف والده أصم وأبكم، يتعالى صراخ النسوة من الداخل وعند عتبة الباب يتجول خروف سمين ويصدر ضجيجا كأنه يقول ماذا يحدث هنا؟

يصل الكاتب ويمسك بيد جاره المفجوع ويسأله ماذا يحدث؟
يجره الجار إلى زاوية وهو مثل الخائف ولا يريد أحدا أن يسمع القصة
ثم يرويها بصوت حزين.

الجار :- تعلم ما حدث لولدي البارحة وكان عندنا أمل بسيط أن من دهسوه بالسيارة ربما سيعالجونه وسيعيدونه لنا ناقص يد أو رجل أو حتى كسيح، قبل الفجر بقليل طرق ثلاثة رجال مسلحين وملثمين بسيارة هيلوكس بدون أرقام وسلمونا الولد ميتا ومكفنا وجاهز للدفن ومعه ذلك الخروف السمين وكيس رز وكيس دقيق وشويه سكر وشاي وقهوة وزيت، وأعطوني ظرف فيه مئة ألف ريال يماني وبعض الفلوس لوازم حفر القبر والدفن وأرغموني على توقيع تنازل وسند استلام الدية وطلبوا أن ندفنه ونذبح الخروف السمين ونوزعه على أهل الحارة.

يتوقف ويمسح دمعة بدأت تتدحرج من عينه اليماني ثم يكمل :-
أخبروني أن أي بلاغ أو شوشرة عن الحادثة ستكون عواقبها وخيمة،

قلت لهم إنه تمنى الشهادة لعلاج أمه المصابة بالسرطان وطلبت منهم أن يفعلوا ذلك، صوبوا فوهة البندقية على رأسي وقالوا نحن في زمن حرب والناس تموت بالملئات من السرطان والأمراض وهذا قدر ومكتوب ولا نعترض على مشيئة الله، أخيرا نصحوني أن أتزوج بالمبلغ وأن أشوف حرمة تخدم المريضة والبيت وتشوف طلباتي ثم ذهبوا... أرجوك لا تجرب أحدا وكأني لم أنطق بكلمة.. لا حول ولا قوة إلا بالله.

يسير الرجل، يعلن بداية مراسم الدفن ويرسل إلى جزائر الحارة أن يأتي ليذبح الخروف بعد الرجوع من المقبرة ويدعو للميت بالرحمة واللجنة وسيكون العزاء لليلة واحدة.. بدأ الجميع في الاستعداد لدفن الميت، وتعالى الأصوات: إكرام الميت دفنه.

طفل الميزان، الذي سلم روحه لملائكة طيبة بعد قصف قرب مكتب رئاسة الجمهورية بصنعاء في مايو ٢٠١٨، لم يجدو ميزانه سليما وكاملا وتكاثرت التغيرات للترحم عليه وتحول إلى أيقونة من أيقونات اليمن التراجيدية، وها هو طفل ميزان جديد دهسته سيارة مسلحين مجهولين لا أحد يعرف هويتهم، ها هو يزف إلى مقبرة البسطاء في صمت وخوف وكانوا قد حذروا الأب أن يذكر ميزان ابنه ولكن أهل الحارة شاهدوا ما حدث وكيف كان الولد متمسكا بميزانه ويعلن أمانيه في الشهادة وأن يعالجوا والدته المريضة.

في المقبرة، لا علامات على القبور وكلما يتم حفر قبر لميت جديد يجدون ميتا سابقا فيضعون الميت بالكفن الجديد ويقولون مجاورة أي أصبح له جار ولم تكن هذه العادة موجودة قبل الحرب، الحرب فعلت متغيرات وخلقت عادات جديدة في الدفن والعزاء والحزن، عاش الناس فترة وهم يعتبرون أنفسهم مشاريع موتى ولا يدري أحد في أي قصف سيموت.

يعود الكاتب إلى بيته تفوح من ملابس رائحة القبور والمقبرة، يشم رائحة نضوج اللحم في البيت ومن كل بيوت الحارة، فقد تم ذبح ذلك الخروف السمين كما قالت الطفلة الصغيرة رقية، وتم توزيعه وستقام ليلة عزاء وتهايليل وأناشيد، وتفوح روائح القهوة والشاي والتبغ، يسدل الستارة على هذه التراجيديا، سيفجع الناس بموت جديد ودراما جديدة، وهكذا أصبحت الحياة في هذه البلد من موت إلى موت.

هو يعرف الموت وما فعله في قريته الصغيرة هناك قرب البحر، فهو من تلك القرية التي كان يسميها الناس كدف الفل والكدف هو التراب المرتفع، قريته قرب منطقة الجاح بلد النخيل من قرى مديرية بيت الفقيه ولا تبعد عنها مدينة زبيد كثيرا، وهي تتكون من مائة بيت تقريبا، يعمل فيها الجميع بزراعة الفل والياسمين والرمان، تقع على مرتفع مميز ومياهها حلوة وعذبة جدا، كأنها حقل جنة صغير، الكل يعمل ويزرع ويحصد ويجمعون كل هذا لبيعه في أسواق المدن القريبة وذاعت شهرة

هذه المنتجات وأصبح التجار يأتون قبل الشروق ويتنافسون لأخذ الفل والياسمين وبقية النباتات العطرة، تربي في هذه الحقول ويوم جاء إلى صنعاء للدراسة في كلية الإعلام؛ كان الحنين لقريته يدفعه للسفر مرة كل شهر، كان يحضر هدايا عقود الفل والياسمين لبعض أساتذته ورفاقه، وكانت رائحته دوما تفوح بعطر لطيف ياسميني.

الصدفة وحدها جعلته يتعرف على سرية التي كانت طالبة تمريض، وولد الحب بينهما ولأنها من عائلة صنعانية محافظة فقد حرمتها العائلة من إكمال دراستها وهي في نهاية السنة الثالثة؛ لكنها جابهت كل الصعاب ولم تبال بالشهادة وبعد عام شديد المحنة رق قلب والدها وبارك زواجها بعد تخرج عبد الحميد وعمله بإحدى الوكالات الإخبارية العالمية، بعدها انتقلت إلى شقة صغيرة قرب الجامعة بشارع هايل، زارت سرية قرية زوجها وعاشت أياما فردوسية تتوج بالفل والياسمين، وكان أهله يصنعون لها عقودا تسمى المشبك الهندي وتكون مسلسلة بهذه العقود من رأسها إلى أخمص قدميها.

بعد سنة من الحرب ومع كثافة القصف والصراع على البحر الأحمر ومدنه وقراه المهمة، وذات ليلة مشرقة ومقمرة خرج كل أهالي القرية لجمع زهرات الفل والياسمين.. فحدثت الكارثة المرعبة وبدلا من أن ترشهم السماء بهتيل لطيف من المطر الناعم كعادتها، حدث ما لم

يتخيله عقل بشر ولم تسطره أي تراجيديا سابقة، هطلت حمم جحيمية وقنابل بالأطنان ومات الجميع، مُحيت القرية من الوجود بأهلها وعطرها وحقولها، كاد الكاتب يومها أن يصاب بالجنون، تحولت قريته إلى قبر متفحم ضخّم ووضع حولها سياج لتأتي بعثات دولية للتحقيق، مرت الأيام والأسابيع ثم حدثت أكثر من تراجيديا مشابهة لقرى عديدة في مختلف أنحاء اليمن في شماله وجنوبه.

خراب وتهجير ومآسٍ كثيرة لم يكتب عنها أحد، يدخل اليمن إلى عمق النسيان من أبواب متعددة، تذكر الكاتب بعض حزنه لفقدانه جميع أهله، سرية ليست مجرد زوجة وأم عيال، هي أكثر من ذلك، هي الرفيقة والحبيبة الصابرة.

مع بداية الحرب لم تعجب تقاريره الوكالات التي يعمل بها. رفض أن يكون شاهد زور وأن يعمل لصالح أحد أطراف هذه الحرب؛ فاضطر لترك مسكنه والنزول إلى السكن بهذه الحارة الداخلة في دائرة الهامش.

مات والد زوجته وحرّمها إختها من الميراث، رموا لها بالفتنات بسبب هذا الزواج، ولم ترفع قضايا وتدخل في متاهة المحاكم، كانت ممتنة لوالدها أنه بارك زواجها، اخوها الكبير كان يريد تزويجها لتاجر ووكيل معدات قطع غيار سيارات، أخوها الأوسط كان يقترح أن تتزوج ضابطاً

برتبة نقيب في مصلحة الجمارك، وأخوها الصغير كان يريد لها زميل له في مصلحة الضرائب، رفضت كل المغريات، واختار قلبها هذا الشاعر الياسميني ولم تندم على خيارها قط؛ لكنها ككل الناس يأكلها الخوف، ولذلك بدأت تطالبه ببعض الديبلوماسية والبحث عن وسيلة للهروب، لعلّ واحداً أو واحدة من أولئك الأجانب في فرنسا أو ألمانيا أو هولندا تذكر ما كان يقدمه لهم من خدمات وموائد وهدايا؛ لكنهم نسوه تماماً، ولا يتذكرونه أحياناً إلا حين يحتاجون منه خدمات جديدة.

مع الساعة الواحدة ظهراً يصبح الغداء جاهزاً، نضج لحم الخروف السمين الذي وزعه السويدي والد الطفل المتوفي، الكثير من البيوت والعائلات بهذه الحارة لم تذوق طعم اللحم من شهور عديدة، يحدث بعض الضجيج بالخارج، يخرج الكاتب ليفهم ما يحدث، يقال أن دورية أخذت القهوجي العم سعد الله، بعض الهمسات تقول أنه وصف ما حدث في الحارة بقصيدة شعبية قصيرة وتغنى بها بعفوية مع الزبائن، الكثير من الهمهمات حول دخول بعض المجانين والمتسولين وباعة متجولين إلى الحارة، ويبدو أن بعض هؤلاء مرسلين لسماع ما يحدث من كلام ويصبح الجميع في خوف وعبارات أمسك لسانك وأي كلمة أو تلويح أو ذكر لطفل الميزان الجديد يمكن أن تؤدي بالشخص إلى غياهب المجهول.

تفرش الزوجة سرية المائدة يتوسطها برمة اللحم وطبق الرز وبالطريقة

التهامية حيث تفوح رائحة الكمون والبهارات مع سحاويق الطماطم^(١) بالكزبرة وفتة عيش بالموز مع القليل من العسل التهامي، من مميزات عبد الحميد أنه طبّاح ماهر في الأكلات التهامية وتعلمت منه زوجته بسرعة وفاقته بجودة الطبخ حتى أن بعض صديقاتها اقترحن عليها أن تعمل قناة يوتيوب باسم صنعانية وأكلات تهامية أو تعمل مشروع لتقديم أكلات تهامية خاصة اللحم بالمرق واللحم الحنيد وأنواع الفتات بالتمر والموز وصحن بنت الصحن التهامية وأنواع كثيرة من الفطائر وهي من حين إلى آخر تعد بعض الوجبات حسب الطلب وتأخذ أجرا زهيدا.

أهل صنعاء يأكلون اللحم البقري في أغلب الأحيان حيث يطبخونه بطريقة عادية أي بالماء والملح، ومن عادات أهل صنعاء أن الرز ليس طبقا أساسيا ولا ضروريا على المائدة، السلّطة المصنوعة من الحلبة والبيض مع القليل من البطاطا هي سيّدة المائدة؛ مع سحاويق الطماطم والعيش الملوّج ووجود اللحم أو الدجاج من أجل المرق للسلّطة، في النهاية يتم توزيع اللحم من أكبر الموجودين عمرا، ويوزعها بقطع صغيرة أو بحسب كمية اللحم الموجود، وليس من العيب أن تجد كيلو واحد فقط من اللحم أو دجاجة واحدة لمائدة عليها خمسة أو حتى عشرة أفراد، في تهامة يُعطى

(١) السحاويق طبق يشبه المقبلات ويتكون من الطماطم حيث تهرس وتمزج بالتوابل والكبيرة والبقدونس وقد يضاف إليها الجبن البلدي، وهذا الطبق شائع الشهرة في عموم اليمن.

أهمية كبرى للضيف وفي الأعياد وأيام الجمعة يتم توفير كمية جيدة من اللحم والسمك والسلطات وبنات الصحن والعسل وأطباق كثيرة من الخضار كالملوخية والبامية والباذنجان والشفوت وأنواع الفئات المتعددة بالمرق والموز والتمر والعسل، وكذلك الدبس أي عسل التمر ويجب أهل تهامة الحلبة مع التمر الهندي والبهارات ويسمونها الحلبة التهامية، الحلبة الجبلية هي حلبة خضراء مع الكزبرة أو القليل من البهارات وسحايوق الطماطم قد يكون مشترك تقريبا في كل المناطق، فمثلا أهل تعز يحبون العصيد وأهل عدن يحرصون على وجود العشار العدني الأحمر، وهو يشبه خلل الليمون مع البهارات والفلفل العدني الأحمر، وأما أهل حضرموت فهم يعشقون اللحم المندي المشوي الحنيد أو المدفون مع العسل النقي البلدي وأي طبق آخر فهو فرعي وغير مهم.

تتجول كل هذه الأشياء في رأس الزوجة، تنادي صغارها، يأتي طفلها عبدالسلام ويده لعبة سيارة الإسعاف، يطلب منها أن تشتري له بطاريات جديدة لتظل السيارة مستعدة لتتقذ أي جريح ثم يسأل الكثير من الأسئلة الشائكة.

الطفل :- أمي هل صديقي الآن بالجنة عند الله؟ من الذين قتلوه وليش قتلوه؟ وهل سيكتبون أنه شهيد طفل الميزان؟ مات وهو متمسك

بميزانه، وكان يقول لنا يريد يكون شهيد مثل طفل الميزان الأول ويعالجوا أمه المريضة.

يستمتع الكاتب لهذا الصوت الطفولي الصادق وهذه الأسئلة المقلقة والشجاعة، يرى نفسه في حالة من العجز وقلة الخيلة والخوف كذلك فالذباب الجواسيس تم إرسالهم إلى الحارة وربما الحوارى المجاورة وستكون للحادثة الكثير من التدايعيات، وتم اعتقال العم القهوجى سعد الله مجرد تحذير إلى الجميع، وكأنهم يقولون: كل واحد يبلع لسانه وكذلك قلمه، المسألة جد الجد وضرب بالحديد.

في زمن الحرب كثرت السجون والمعتقلات: في الشمال والجنوب والشرق والغرب، تعددت وكثرت الأسباب وتطورت أساليب التعذيب والتنكيل، لكل منطقة قوانينها العرفية الخاصة، ولم يعد أحد يهتم بالقوانين المدنية ولا سؤال عن أي معتقل ومن أي طرف هو أو منطقة، فهو في زيارة ورحلة خاصة إلى الجحيم، وربما تهون جحيم دانتي فهي لا شيء مقارنة بجحيم المعتقلات اليمينية في زمن الحرب، الخارج منها مولود ولكنه سيكون مولوداً مريضاً أو معاقاً وبائساً وميتاً.

اليمن السعيد لم يعد سعيداً بسبب الحرب والصراعات والتدخلات الخارجية المتعددة، وحتى قبل الحرب وقبل قبل الحرب، يتذكر الناس مملكة سبأ والهدهد وبعض الحكايات القديمة لكنه بلد منسي.

ليس من عاداته أن يشرب في الظهيرة، لكنه يشعر بحاجته للشرب، يتذكر بقايا قنينة عاد بها من سهرة البارحة، يدخل الغرفة ويشرب بتهور فهو العاجز عن أن يجيب عن أسئلة طفله وربما جميع أطفال هذه الحارة، تأتيه همسات القصيدة، توشوش له، يلتقط ورقة وقلماً ويكتب :-

يا الله نشتاق لضحكاتك وأنت تسمع هذيان الدروايش

وأنت تسمع دعاء العجائز وطلباتهن البسيطة

جداتنا وأمهاتنا قليلات الفقه

لا يمتلكن لغة نحوية فخمة في صياغة الأدعية

يفرح الله

يقهقه لسام صلواتهن

الفلاحون الأميون يحبون الله

كان يهديهم السحاب حبلى بالمطر

تغيرت أحوال الطقس

أصبحت السماء مصدر الرعب

تحتلها أحصنة النار الملعونة

تركض فيها شياطين الإنس لإقامة مباريات كرة القدم

الرعاة لا يجدون العشب لخيطة الأشعار الشعبية.

جدتي تقول « إن بعد العسر يسرا »
يرتجف جسدها الضامر
يرتعش لسانها بالتهليل والتقديس
لكن يبدو أن لا أحد يفهمها
السماء لا تمد جبالها لالتقاط صوتها الضعيف
ضجيج القنابل والمدافع يقصف صلوات الجوعى
السماء لا تبذل جهداً إضافياً لاستقبال الذبذبات الخائفة والمنكسرة
يشاع أن الملائكة تخطط لمسيرة تضامنية مع شعبي
أو إقامة صلاة استسقاء
كي تبيض الأرض بطاها من أجل الأطفال الجوعى
الخميرُ يفعل فعلته
رأسى يتكور
يركض في فلكِ تائه
لا أستطيع إكمال هذا النص .
الأكل يبرد ولا شهية لأحد، تحاول سرية تلطيف الجو وتغني بصوتها
الصنعاني لتشجع الكل أن يقتربوا من المائدة، تتوقف أسئلة عبد السلام،

تأتي الطفلة رقية وترتمي في حضن أمها، يعود إليهم ويحاول أن يكون طبيعياً، ما ذنب الأطفال، تفهم وتشعر سرية بهذا البركان العاصف في ذهنه وروحه، ترسل له إشارة الرجاء وكأنها تقول له: خفف علينا وعليك كل هذه العذابات، ينصاع لها وهو يبحث عن هدنة قصيرة ولو لنصف ساعة من أجل عبدالسلام ورقية وهذه الزوجة الحنون.

يأخذ قطعة لحم ويضعها في فمه. يعجز عن مضغها، ويعجز عن شرب المرق. يتخيل أنه يأكل لحم ذلك الصغير المقتول وأن الخروف السمين المذبوح رشوة مفضوحة لكل أهل الحارة، يتذكر قسم سعد وأنه سيدبح خروفاً سمينا للتكفير عن ذنب معاشره وردة، كأن هؤلاء يريدون رشوة الخلق والخالق، يقتلون ويعتصبون ويذبحون خروفاً للتطهر. يعجز عن المضغ ويكتفي بكسرة خبز يغمسها في السحايق وبعض اللقيبات من فته الموز.

يتذكر سمر والموعد الخامسة عصرًا بمنتجع عصر بطرف مدينة صنعاء، عصر هو مدخل مدينة صنعاء للقادمين من محافظة الحديدة، لمن يدخل صنعاء لأول مرة فعليه أن يصيح كما يصيح الديك بعد تجاوز قرية صباحة بني مطر حيث تبدأ معالم مدينة صنعاء بالظهور رويداً رويداً، صنعاء الساحرة يجبها كل من يسكنها وهي تسكن زائرها وتتغلغل داخل روحه، صنعاء مدينة لا تشبهها أي مدينة أخرى في الكون ولن تأتي أو

تظهر أو يكون لها مثيلاً، فعلت بها الحرب فعلتها ومع ذلك ظلت وستظل حية، فقلبها ينبض بالأهازيج، تخلق منك مبدعا وإنسانا. يستغرب كيف لهؤلاء الذين يسكنون هذه المدينة أن يرفضوا أن تسكنهم صنعااء بروحها وجمالها، ويقترون الجرائم ويظلمون.

لم يتصور نفسه قاتلا لذلك تصيبه الرعدة ثم الرجفة، وعليه أن يلتقي سمر وقبل ذلك أو بعدها عليه أن يمر على شقة سعد ويأخذ المليون ريال ويدفعها لعلاج أم طفل ميزان الحارة، أمنية وطلب الطفل أن يموت شهيدا وتحقق له ذلك، الآن على الأقل تتحقق أمنيته النبيلة.

من أين جاء سعد بالمليون وكيف كان سينفقه؟

جاء به من السرقة وهو مال الشعب وكان سوف يصرفه في ملذاته، أم شهيد الميزان أحق بهذا المال، يقتنع بالفكرة وعليه أن يكون أسرع من ملاك الموت الذي ينهش جسد تلك المسكينة.

هل يهزم ملاك الموت ولو لمرة وحيدة؟

بمقدوره أن يحاول فعل ذلك ويدفع المليون لعلاج تلك الأم المسكينة. ولكن لو لم يذهب إلى لقاء سمر فقد تنتحر وهكذا يهزمه ملاك الموت ويصفعه مرة أخرى، فقد أكل قرينته بكل ما فيها من بشر وحجر وحقول وأمانى.

يمضي الوقت بسرعة، تأتي الساعة الثالثة، يدخن بشراسة رغم تحذيرات زوجته له وقبل ذلك طبيبه، يتحرك للذهاب كي ينقذ سمر ويعرف قصتها كاملة، كانت ملامح وجهها جادة وهي تهدد بالانتحار، يعلم أنه لن يخون زوجته ولن يحب امرأة أخرى غيرها فهي حوريته الجميلة وروحه ونبض قلبه.

حي الحصبة

تكون سمر بأحد الشوارع في حي الحصبة، يقع هذا الحي شمال مدينة صنعاء حيث تتميز بعض أزقته بعمارات فخمة وفلل تشبه القصور الصغيرة، ويجوي كذلك أزقة غير مرئية يسكنها الكثير من الفقراء المتعبن.

ويقع بيت القوادة أم الجميلات في الوسط، وكأنها درست الموقع بذكاء لتقييم مملكتها الصغيرة الخاصة. تدفع الأتاوات لبعض الحرس وقسم الشرطة وبطرق غير مباشرة، وأم الجميلات ذكية وتملك خبرة طويلة فهي معلمة ليست سهلة، تعرف بقية القوادات والقوادين في صنعاء خاصة ولا تحب الدخول في صدامات مع أحد، وكثيرا ما تسعى إلى أن يوجد ما يشبه الجمعية والتعاون وعدم الوشاية والفتن بين أصحاب هذه المهنة، هي تقدم الأمن والأمان للعاملات والعاملين معها وكذلك للزبائن، وكأن لها رؤيتها الخاصة بضرورة أن ترضي زبونها وكذلك تحافظ على

بناتها أي العاملات معها لكنها تفضل كلمة بناتي، مع الحرب وككل المهنة تعرضت لصدمات وبسبب الفقر والجوع وعدم وجود رواتب لمن يعمل في مؤسسات الدولة وانعدم السياحة؛ فقد أصبح العرض أكثر من الطلب، دفع الفقر لزيادة البنات والنساء الراغبات في العمل، وهذا يحدث في كل المدن التي تتعرض للحرب والفقر وفي جميع بقاع الأرض. يأتي كل هذا في خاطر سمر وهي تجلس في إحدى الكافريات والتي تسمى كافريات العوائل، وقد انتشرت كثيرا بعد عام ٢٠٠٠. يتم فيها تقديم مشروبات ساخنة وباردة ووجبات خفيفة وكذلك الأرجيلة للشباب والشابات، ويمكن أن تدخن الزبونة الأرجيلة أو السيجارة، ومن الصعب جدا أن تجد فتاة أو سيدة تدخن سيجارة وسط الشارع؛ إذ سترصدها الكثير من الأعين وقد يأتي أحدهم لشتمها أو الاعتداء عليها رغم عدم وجود قانون ينص على هذا، ربما فقط يسمح للناس للنساء الأجنبات بفعل ذلك، ولكن من الصعب جدا أن تفعل فتاة أو امرأة يمنية مثل هذا الفعل.

تنشط الذكريات في رأس سمر وهي تنقث دخان أرجيلتها وكأن سحب الدخان تحوي مشاهد قديمة، تتذكر قبل شهور من موت سالم الذي كان جسده مائدة الدود، وكانت خادمته تشاركه قبره البارد وتنهش روحها الآلام والشعور بالضياع وفقدان الأم، وذات يوم وهي تتجول

في السوق وأمام فاترينة زجاجية جذابة بضوئها الساحر تعرض ملابس نسائية، ظلت عاجزة أن تتقدم ولو خطوة واحدة، وهناك لأول مرة لمحتها أم الجميلات التي بدت سيده طيبة بنهاية الأربعينيات من عمرها لكنها أنيقة ولطيفة، طويلة إلى حد ما وذات جسد متناسق مع طولها. تملك أم جميل الذكاء والنباهة وكأنها قرأت قصة سمر من أول نظرة إلى عينيها ثم سحبتها تشجعها على دخول المحل وتسألها عن اسمها واشترت لها جلابية متوسطة السعر، لكن سمر رفضت الهدية والقوة قبلت أن تأخذ رقم هذه المرأة التي تريد أن تقتحم حياتها وأخذت كذلك أم جميل رقم سمر والتي كانت تملك هاتفًا بسيطًا لتلقي اتصالات أبناء سالم البائس.

سعت أم الجميلات للتقرب منها، أعجبت بجسدها المتناسق الرشيق وعينيها التي تشع بالسحر والجمال ورغم أنها كانت بتلك الفترة مرهقة حيث فقدت الكثير من وزنها فإنها كانت تتمتع بصدر أنثوي يبدو مثيرًا رغم محاولاتها تغطية ضجيج الالاف لنظر الرجال والأعين الشهوانية، وهكذا عرفت أم الجميلات بعدها بقصتها ووعدها بالمساندة وكانت سمر ساذجة ولا تعرف الكثير عن دنيا صنعاء وعوالمها المتعددة، بعد موت سالم واكتشافها أنها لم تعد زوجة، وحينما جعلوها تقرأ فقط ورقة الطلاق ثم مزقوا الورقة وأعطوها مهلة شهر لترك البيت القبر كما تسميه، بحثت عن خالتها وعرفت أنها تطلقت ثم تزوجت من شخص

آخر سافر بها ربما خارج صنعاء وربما خارج اليمن، لم يكن لديها حل إلا أم الجميلات وفعلا اتصلت بها لطلب الدعم وسرعان ما حضرت لأخذها وأكرمتها بعدة شهور ضيافة ونقاها، فقد كانت رائحة الدود والآلام وسالم وأوجاعه ملتصقة في أنفها وسمعها وبصرها وكل حواسها وروحها، وهكذا بدأت رحلتها في هذا العالم المختلف.

تذكر أول ليلة وأول زبون حيث كان شاباً مغترباً وعلى وشك السفر، أحب أن يقضي ليلته الأخيرة في صنعاء الرومانسية ويبدو أنه دفع مبلغاً جيداً، وكذلك كأنت أم الجميلات تريد أن تجذبها إلى المهنة بهدية مع شاب وسيم يبدو لطيفاً جداً.

اسم الشاب سام أو أنه اختار هذا الاسم وهو مغترب ويدرس في دولة أوروبية وجاء إلى اليمن لعمل بحث أو دراسة، لم تعلق في ذهنها التفاصيل وحتى لا تتعلق به في تلك الليلة فقد جربت شرب الويسكي وطلبت منه أن يفعلها ويأخذ متعته، وأن يفتح لها هذه البوابة المغلقة فقد كانت لاتزال بكرا، خشيت أن يأتي الفتح على يد رجل غليظ وعنيف يضيف ألماً إلى آلامها، فعلها الشاب برفق وهدوء ثم ارتعى يقبل كل شيء فيها من الرأس إلى أسفل القدمين، فتح فمه لبيع وهم الحب لكنها رفضت أن تسمع وهي تعلم أنه سوف ينساها مع أول خطوة خارج هذا الباب.

بعض الرجال يرمون في أحضان العاهرات كأطفال، يتحدثون عن حياتهم وهمومهم وأحلامهم، البعض يفضل أن يُفرغ شهوته وينصرف، وهناك رجال يريدون مطالب خاصة وأحياناً خاصة جداً.

تقبض سمر على حقيبتها اليدوية الكبيرة الحجم نوعاً ما فقد دسّت فيها كتاباً ودفترًا. يبدو بارزاً حتى يظن من يشاهدها أنها طالبة جامعية بسيطة، لبست بالطو عاديًا غير مثير للنظر، أودعت بالحقيبة المبلغ المالي الضخم وورقة مهمة ستكون مفاجأة للكاتب وهي تحرص أن تأخذ معها بعض أدوات الأمان مثل بخاخ ورشاش الفلفل للدفاع عن النفس عند الحاجة، كما أنها اشترت علبة من (الوارفارين) وهو دواء مضاد للتخثر ولكن عرفت أن خمس أو عشر حبات منه دفعة واحدة يمكن أن يؤدي إلى موتها دون ألم. كان يبدو عليها أنها مقتنعة بما ستفعله ولديها ثقة وأمل في أن يسمع الكاتب خطتها ومقترحاتها وهي تشعر أن المال لن يغريه، ولكنها تريده أن يسمع قصتها بالكامل وكأن هذا التدفق من ذكرياتها كمن يستعد لامتحان شفوي، تريد أن تحكي كل هذا وتفاصيل أخرى مهمة، تنهي الأرجيلة وتدفع الحساب، تطلب تاكسي، تتوجه إلى منتزه جبل عسر.

الفصل الثالث

في بيت الكاتب، ترسم الطفلة رقية فراشة وتلونها ويكون بجانبها ورق ملون، تطلب من أمها أن تساعدتها في قص الورق على شكل أجنحة، ثم تتقدم من أبيها وتطلب منه أن يشتري لها فستانا أبيض بأجنحة متعددة. رقية :- بابا أريد فستان أبيض وفيه أجنحة، أحب أكون ملاك ينقذ الأطفال، كل أطفال الميزان.

هنا يتلقى رسالة على هاتفه من سمر تقول (موعدنا الخامسة وأتمنى ألا تقتلني)

يصاب بالرعشة.

تتقدم منه رقية وتهمس في أذنه :- أنت تحب الناس كلهم يا أبي وما تقتل، الأشرار يقتلون الأطفال والبنات الحلوة.

كأن رقية تأمره بالتحرك وبلغتها الطفولية تحذره وكأنها تعلم بكل شيء ويستغرب من صياغتها للعبارة التي تبدو أكبر من عمرها، يتحرك فعلا ويقبل رقية ثم عبدالسلام ثم زوجته، منذ بدأت الحرب يحرص أن يقبل الجميع ويلقي نظرة على المكان، الحوائط والأبواب ولوحات رقية وعبدالسلام المعلقة وينظر إلى المرأة ويخاف ألا يعود أو لا يجد البيت في

مكانه، وقد حدث للكثير من الناس أنهم خرجوا ولم يعودوا، أو عادوا ولم يجدوا لا الأهل ولا البيوت. في زمن الحرب لا نعرف ماذا سيحدث لنا في الدقيقة القادمة.

يخرج الكاتب من حارته، يلقي نظرة على مقهى سعد الله المغلق، يرى الوجوه منكسرة، الكثير من المجانين والشحاذين يتجولون، لاحظ أن أحدهم ظل يتابعه إلى مخرج الحارة، حارته تقع خلف الجامعة القديمة ولا تبعد كثيرا عن حي قاع اليهود سابقا أو قاع العلفي حاليا، لكن أغلب الناس تكتفي بكلمة (القاع) وهو حي سياحي يقال إن الإمام يحيى بن حميد الدين عمل على إخراج اليهود الذين كانوا يقيمون في داخل مدينة صنعاء القديمة وبنى لهم هذا الحي بدعوى أنهم يلوثون صنعاء القديمة بالخمر، وقد تحول إلى سوق شعبي يتميز بمطاعم الكباب اليمني والنيذ^(١) ومحلات البهارات والعطور، وتتميز سطوح البيوت بالتقارب ويقال إنه كان يحتوي على عدة معابد يهودية ولكنها انقرضت، عرف ذلك من زوجته فهي من بنات صنعاء القديمة لكنها فقدت الصلة مع أهلها الذين يمتلكون محلات تجارية كبيرا في صنعاء القديمة، وقد حذروها من زيارة باب اليمن أو دخول المدينة، ولأنه كان كثيرا ما يشعر بحنينها الصاخب إلى مدينتها فكان يأخذها للتجول والتسوق من حي القاع،

(١) المصنوع من الزبيب المحلي

ورغم الاختلافات في أنظمة العمارة فإن أي شخص كان يشعر بعطر روائح الصخور وبرودة الأرصفة وأناقة الظل والأضواء نهائية أو ليلية. يلاحظ أن بعض اللافتات العملاقة كانت معلقة تحمل صورًا تراثي طفل الميزان الأول، وقد تم إنزالها خاصة عند مدخل حارته والحواري المجاورة، حتى في حي القاع كانت هناك لوحة مضيئة لكنها اختفت، يبدو أن ثمة خوفًا من أن يعلم أحد بطفل الميزان الثاني مروان ومصيره المفجع على يد...، الناس تقول مجهولين، كلمة واحدة وأي إضافات للوصف والتعريف فالعواقب مجهولة، هي الحرب حيث تتعدد أسباب الموت ويلبس عشرات الأقنعة.

يأخذ تاكسي ويتوجه إلى منتزه عصر للقاء سمر ويفكر بضرورة أن يقنعها بأن زواجهما كان باطلا ولا يوجد عقد شرعي، يمكنه أن يساعدها للخروج من محتتها لكنه لا يستطيع أن يمنحها الحب أو يخون زوجته وهو ليس من أهل المال ولا من اللاهثين وراءه.

يفتح العنان لخياه، يرى الأشجار الطويلة الباسقة، الأرصفة والناس والضجيج، يأتي في ذهنه نص، يأخذ الهاتف من جيبه لتدوينه:

أبحث عن بعض الهواء الخالي من وسوسة الشعر

ترقص الأشجار التي تحتفظ ببعض أغصانها

تسمر الأشجار المقيدة بزينة الفرحة

رجال الشرطة يطلبون منها كل ليلة إبراز بطاقتها الوطنية
 كاميرات المراقبة ترصد أبسط حركة.
 بعض الطيور المهاجرة غرقت في البعي
 ليس بوسعي إنقاذها
 ليس لي لسان هدهد لبث رسائل تحذيرية
 أكتفي برسم قوارب شراعية متينة
 ثم ألقها في الماء لعلها تنقذ أي غريق.

يتم توقيف السيارات مع وصوله جولة المصباحي والطريق الذي
 سيؤدي به إلى جولة عصر، أصبح اسم الشارع الشهيد المناضل إبراهيم
 الحمدي بدلا عن شارع الستين الجنوبي، لجان تفتيش وتدقيق في البطائق
 وعلى المرء التحلي بالصبر وأن يبرز كذلك عدم خوفه، أي شك فيك قد
 يؤدي لأيام من التحقيقات وقد يقع الشخص ضحية خطأ من جندي
 شاب مراهق، أحيانا يكونون في حالة غضب وعصبية حد التهور
 وإطلاق الرصاص الحي.

يتمنى ألا يتأخر عن سمر، يفكر أن يرسل لها أنه في الطريق ولكن ماذا
 لو أخذوه وسبق وأن حدث له هذا عدة مرات وظل عندهم عدة أسابيع
 دون أن يحقق معه أحد، أو توجه له تهمة ثم أطلقوه دون أن يفهم شيئا.

يزداد خوفه، يبدأ يكتب لها رسالة ثم يمسحها ويتصل بها :- مرحبا
سمر أنا بالطريق ويوجد تفتيش لو تأخرت أو حدثت معي شيء
نتواصل.. بالسلامة.

يغلق الخط، يحفظ رقمها في رأسه، يمسح رقمها وقائمة الاتصال
وعدة أرقام، قد يشمل التفتيش أخذ الهاتف وفحصه وأسئلة عن الأرقام
المسجلة و.. و..، كما أن أحدًا لا يقدر على مغادرة الطابور الطويل. يمضي
الوقت وبعض السيارات أو الباصات يتم تفتيشها بدقة مع تفتيش ذاتي
للركاب.

يفكر أن يمسح تدويته الأخيرة، لا يعلم أحد كيف سيفهمون مثل
هذه النصوص، مثل هذا الوضع يكاد يكون حالة عامة بعموم المدن اليمنية
في الشمال والجنوب. أجنحة وجماعات وكيانات عسكرية أو مسلحة وهي
لباس مدني ولكل فريق مزاجه الخاص، لا قانون ولا عرف. فقط الناس
البسطاء يقولون: الله يستر كما يفعل الآن سائق التاكسي والذي يبدأ يقرأ
آية الكرسي ويستجير بالحسين وعلي وفاطمة الزهراء.

تمر الدقائق بطيئة جدا، يزداد التوتر، انتظارًا لدخول المجهول، يحاول
أن يكون متوازنًا وأن يكون صوته طبيعيًا للرد على أي سؤال مهما يكون.
فجأة تحدث الانفراجة ويطلبون التحرك بسرعة، يهلل السائق فرحا
وينطلق، يسرع هو ويتصل بسمر وهنا وهو يغني السائق بأهزوجة

صناعانية غزلية ، تطلب سمر أن يظل متصلا لتسمع الأغنية^(١) التي تقول :-

أسقيتني الشهد من فمك .. ريقك عسل كوب دوواني

يوه والحلى ذبت من طعمك .. الذوق فيك والحلى ثاني

في نفسي أرتاح وأضمك .. يا من جمالك سبأ عياني

محل عيونك مع نسلك .. يا من الذوق صنعاني

ذهلتني من حل شملك .. والشوق في القلب قد جاني

ارتاح لقد ذكرت أسملك .. وأنسى همومي مع أحزاني

مثل القمر يعتكس غومك .. والشوق في القلب قد جاني

فيك الحللى صنع رباني

أحلم ليالي على ضمك .. واصحى على حضن وسداني

يا ليتني فرش في نومك .. شالم سملك في أحضاني .

تتفاعل سمر وتعود لتغني الأغنية بصوتها الرقيق ، يطلب السائق أن

يضع الصوت سبيكر ويهز رأسه يتراقص وخاصة بعد أن تجاوز لجنة

التفتيش ، كان سمر فهمت أن هذه الكلمات تعنيها ورسالة منه ، ولا يفهم

لماذا اختار السائق هذه الأغنية التراثية الرومانسية جدا .

(١) الكلمات من التراث الصناعاني القديم ، وتوجد نصوص غنائية كثيرة لا يُعرف

كاتبها ويشار إليها أنها من التراث وقد تكون لبعض الأغاني لحانها التراثية

الموروثة وقد يقوم بعض الفنانين والفنانات ببعض التعديلات الطفيفة وثمة

نزعة مهمة تشهدها اليمن في العودة إلى احياء التراث .

يلتقي بها وهي تنتظر هذه اللحظة ونار الشوق تصلبها، مع قدومه،
تسرع لترمي ب صدره دون أن تنتبه لمن حولها، ولحسن الحظ يكون المكان
خاليا فارغا من المارة والمنتزهين، فقد اختارت هذا المكان الأنيق والأقرب
إلى السماء بعلوه وهوائه العليل، كأن الشمس تغمرهم بقبضة من شعاعها
الذهبي الأصفر، مباركة هذا اللقاء. ينظران إلى صنعاء كعروس جميلة
رغم ما تخفيه من قصص وحكايات وأحزان.

يتذكر مقطعا من كتاب صنعاء للشاعر عبدالعزيز يقول فيه:

صنعاء لها وجهٌ قديسةٍ

ولسانٌ حكيم

وصوتٌ شهيد

وعواطفُ شاعر.

يتأمل وجه سمر ليرى جمالا شابا يتدفق بالسحر والغواية، تقترب
منه، تلتصق جسدها بكتفه الأيمن، ثم تأتيه وتكون على يساره، تأخذ يده
وتغرسها في حقيبتها ليلمس رزمات الدولارات.

هي :- تصدقني الآن هي مالنا وحلالنا، أولئك سر قوها من شعبنا
ونحن من الشعب.

يستغرب لمنطقها وكلامها ويسألها :- كيف بنت صغيرة مثلك
وتعمل.. تحكي بهذا المنطق؟

تبتسم ولا تشعر بأنه كاد أن يجرحها بوصفها عاهرة.

هي :- أولاً أنا درست إلى الصف التاسع وأخذت الإعدادية، ولولا أن القدر حرمني من أبي لكنت اليوم قد تخرجت من الجامعة. عمري قريباً يكون ٢٤ وليس ١٨ سنة، فقط نصغر في أعمارنا لزوم الشغل الماضي لأنني خلاص لن أعود إليه.

تستخرج ورقة من حقيبتها وتمدها له، يطلع عليها ويفاجأ أنها ورقة عقد الزواج بأسمها وأسمه وهي معتمدة من المحكمة.

تبتسم وتشرح :- من الفجر ذهبت للفقير الذي زوجنا على سكايب ودفعت له المعلوم وهو قام باللازم والعقد مسجل رسمي بدفاتر المحكمة.

هو :- إيه ولكن قلت لك زواج باطل

هي :- من غيرك سأموت.. سأحكي لك قصتي، تصلح أن تكون رواية يمكن أن تفوز عنها بجائزة وأقسم أنني لن أبالغ أو أكذب ولكن دعنا نغادر من هنا أخاف أن يأتي تفتيش أو شيء ولو وجدوا المال سوف يصادرونه.

كأنه يصاب بالرعدة ويتذكر ما حدث قبل قليل، لا أحد في أمان بهذه المدينة وكل المدن اليمنية.

وهما في طريقهما للبحث عن تاكسي تقلهم إلى شارع تعز لحجز شقة

مفروشة، تتوقف مبتسمة :- سأقول لك شيء حتى ولو كان كلامي وقحًا.. أنا أعمل مع أم الجميلات من ثلاث سنوات، لكنني لست بالعاهرة الماجنة ألف واحد ركبها.. أنا أغني وصوتي حلو وأرقص نار وخرجاتي خاصة جدا وقليلة لأنني زورت تقرير طبي أن عندي التهابات حادة ومعديّة بالمهبل.. أقدم رقصًا من كل الأنواع وأغني والبنات اللواتي يكونون معي يعملون اللازم وأكثر، نادرًا ما يأتيني الكيف وأمارس وأنا مخمورة أو مخدرة.. يعني بالمفتوح الحاجات (تشير إلى أسفل بطنها) حاجاتي نظيفة ومية بالمية.

لا يدري ما يقوله ولا يقدر أن يوقفها وهي تقوده بسلاسة وذكاء كأنها من الجنيات الساحرات في قصص وحكايات ألف ليلة وليلة.

في بيت الكاتب

تركض رقية بأجنحتها الورقية ويظل عبدالسلام يمسك بلعبة سيارة الإسعاف بصوتها العالي الذي لا يريده أن يتوقف، ويمسك جيبة المليء ببطاريات جديدة، تشغل الأم بترتيب البيت وتأخذ صينية وكأس الشاي، تشعر برعشة غريبه في يديها، تسقط صينية الشاي وتبلل بعض رسومات رقية وخاصة رسومات لوجه الأب.

تتسمر المرأة لثوانٍ عديدة كأنها تقرأ دلالات ما من الحادث البسيط،

تسرع رقية لمساعدة أمها وهي تقول بعفوية :- نساعدك يا ماما هذا بسبب الجنية التي تجري وراء أبي.

تصاب الأم بذهول، تأخذ عدة أنفاس وتنحني برفق وتسال رقية :- رقية حبيبي أي جنية ما في جنية بالبيت.

تهز رقية رأسها بإشارة لا، ثم تكمل :- أنا شوفتها وأنا نائمة.. هي مش في البيت.. تجري بعده من يخرج من هنا.

سرية، امرأة متعلمة ولا تؤمن بالشعوذة والخرافات لكنها تعرف أن رقية تمتلك مواهب غير طبيعية ودائما إذا كررت قولاً أو حكاية أو خبر يتحقق ولو بعد حين، تحاول المرأة التماسك وتضحك لتوحي لابنتها أنها ليست قلقة، ثم تعمل على الخروج من الموقف وتقف تصفق.

الأم :- ما رأيكم كلنا نشترك ونعمل كيك مع الشوكولاته.

تفرح رقية وكذلك عبدالسلام، يسير ثلاثتهم إلى العمل بالمطبخ.

التاكسي

يشق التاكسي طريقه نحو شارع تعز، يكون الكاتب مع سمر بالكرسي الخلفي، وبدون مقدمات تعرض التاكسي طاقم دورية بلباس مدني، يوقف السائق سيارته وهو يرتعد من الخوف ثم يتوجه إليهم :- الله يعديها على خير أهم شيء ما عندكم مشكلة ولا ممنوعات.

ترد سمر بشجاعة :- نحن عرسان جدد أهم شيء أنت ما عليك مشكلة.

يأتي شاب مسلح ويقترّب من باب السائق، يطلب الرخصة وأوراق السيارة ثم يطلب من سمر والكاتب النزول، يبدأ الشاب بالتفتيش، يكاد الخوف يقتل الكاتب حيث يعلم أنه بالتفتيش سيجدون الدولارات وقد يتورط بفضيحة كبيرة تدمر مستقبله وعائلته، لأنه من ضمن القوائم غير المرضي عنها، يقترّب المسلح ويسأل :- ما في عندك بالشنطة؟

تسمر سمر لبعض الثواني، هنا يأتي مسلح آخر يبدو أنه مسؤول الدورية.

كأن سمر فهمت بسرعة ما يجب فعله، تسرع وتستخرج ورقة عقد الزواج وتسلمه لقائد الدورية والذي يلقي نظرة سريعة على الورقة، يدع الكاتب سحر تتعامل معهم، يخاف أن يتورط بأي كلمة أو عبارة خاصة أن لكتته تهامية رغم كل هذه السنوات في صنعاء، فهو يحكي بوضوح ولكن لكنة ونغمات كلام سحر تفوق الوصف فهي صنعانية ساحرة.

بيتسم قائد الدورية ويطلب من المسلح أن يتركهم ويبارك لهم بقوله :- ما شاء الله ..الله يبارك لكم عرسان جدد، تفضلوا وناسف للازعاج.

تدخل سمر ويتبعها الكاتب وهو فرح وغير مصدق، لكن قائد

الدورية يطلب بإشارة من يده أن يظل السائق بمكانه ويسير نحو سيارة الدورية.

كأن الموقف سينقلب إلى كارثة، يتجمد الكاتب في مكانه، تمسك سحر بيده الباردة كقطعة ثلج، تمر اللحظات وكل الأفكار تدور برأس الكاتب، يعود قائد الدورية وهو يحمل عدة أكياس من القات والمشروبات الغازية والماء المعدني والسجائر، يرمي في حضن الكاتب بكيس قات وكيس آخر صغير يعطيه للسائق ويناول سمر الكيس الثالث الذي يحوي ماء وسجائر ومشروبات غازية.

يتسم ويعيد تبريكاته، يوجه الكلام إلى الكاتب :- هذا قات ليلة العمر، أفخم قات مطري الليلة المباركة لكم وهذه أشياء بسيطة.
ثم ينبه السائق :- أسمع ما تأخذ منهم حق المشوار ووديعهم حتى لو قالوا لك الحديدية ويهناك كيس القات.

يتركهم الرجل بهدوء ودون حتى أن ينتظر الشكر، يتمم السائق بحمد الله ويكون فرحاً بالقات ويلقي عليه نظرة يشعر أنه من أعلى أنواع القات، يمد بيده ويأخذ عوداً صغيراً يدخله كله في فمه ويتلذذ به، يهز رأسه ويتحرك بسيارته ويشكرهما.

السائق :- والله قصة ولا في الأحلام.. المشوار على حسابي وسأعطيكم رقمي لأي مشوار أنا والسيارة تحت أمركم.

تبتسم سمر وتقبض على كف الكاتب وكأنها تقيس درجة حرارته.
بعد لحظات يسألهم السائق بأدب :- فين مشواركم بشارع تعز؟
تسرع سمر بالرد مجمع شقق الملكة بلقيس.

يبتسم السائق ويهز برأسه :- والله مكان فخم وأمان وخدماته ممتازه
ويا بلاش الشهر ب ١٠٠٠ دولار مع خدمات الغسل والكوي والتنظيف
والسوانا ووجبة الإفطار .. والله يا بلاش بغير دولة هذه جارنا الصومال
تحصل شقة بمثل هذه المواصفات الليلة ب ٥٠٠ دولار.. صنعاء الخير
والبركة وكل شيء موجود لو فقط يرحموا المدرسين والموظفين ويصرفوا
لهم رواتبهم^(١).. شكلكم مغتربين أنا في خدمتكم وب ٥٠٠ دولار أكون
تحت أمركم شهرًا كاملاً ليل ونهار.

تبتسم سمر وكأن الكاتب يريد أن يقول شيئاً، تقبض على يده
فيسكت.

سمر :- بارك الله فيك يا أخي هات رقمك ولو احتجنا لك نتصل
بك.

يسرع ويعطيها كارتاً فيه رقمه.

يصل سعد إلى جزيرة عسكرية صغيرة قرب جزيرة كمران بالبحر

(١) رواتب الموظفين والمعلمين باليمن مقطوعة منذ بداية الحرب ورغم كثرة الوعود
إلا أنها لا تزال مقطوعة إلى الآن وهانحن ندخل عام ٢٠٢٤

الأحمر، وبتزايد رعبه كل لحظة، يكثف اتصالاته باحثًا عن وساطة من أجل العودة إلى صنعاء وبأي ثمن؛ لكن يبدو أن الأوامر عليا؛ وفهم أن هذه الرحلة لاختبار إخلاصه وعليه أن يصبر، ولكنه لا يدري كم المدة التي سيقضيها هنا: أسابيع أم شهرًا. يخاف أن يدخل في خانة النسيان مثلما حدث لبعض الذين عرفهم، ظنوا أنفسهم من الصفوة بخدماتهم والطاعة العمياء وفي لحظة قد يجد المرء نفسه منسيا أو هو مكلف بمهمة في خندق خطر وجحيم ملتهب، بعد رحلة شاقة ومرهقة، يطلبون منه أن ينزل إلى نفق يجر إلى نفق وسرايب مظلمة؛ تكاد رائحة الرطوبة والملوحة تخنقه، بمكان سفلي سيكون مكوثة ربما لأيام أو أسابيع وفي هذا العالم المقطوع عن الكون عليه أن ينتظر إلى أن تأتي التعليمات الجديدة.

في باحة مدخل مجمع الشقق الفخمة، ينبهر الكاتب بالفخامة الفائقة، يتأمل بعض لوحات الفنان التشكيلي اليمني هاشم علي وبالأخص لوحة راعية الغنم، وهي لوحة وسبق له أن كتب عنها وعن هذا الفنان. يتذكر ما قاله عنه (تفوح من أعماله عطر القداسة للبسطاء والأرض، فالإنسان كان نقطة اهتمام هاشم علي في كل مراحل تجاربه المتعددة والتي شهدت تحولات فكرية وفلسفية؛ لكن البحث عن البسطاء وتصويرهم بدرجة عالية من الشعرية والروحانية ظلت منهجا ومرتكزا أساسيا وجوهريا لتجربة هاشم المدهشة).

وجد أيضا لوحة للفنان عبدالجبار نعمان، مظفر نزار وغيرهم، يأتي مدير المجمع، تسارع سمر للحجز تاركة إياه كي يعيش بعض لحظات التأمل مع هذه اللوحات.

بسبب الحرب توقفت الحركة الفنية التشكيلية والمسرحية وفقدت صنعاء بهجة الثقافة والفن، يبدو أنه كان متعطشا لأن يعيش وجهها لوجه مع عمل فني أصيل وليس مصورا أو تقليدا.

تكمل سمر كل الإجراءات وهي تحمل الأكياس، فيأمر مدير المجمع إحدى موظفاته بأن تحمل الأكياس عن السيدة مقتربا من الكاتب فرحا بوقفته التأملية.

المدير :- سأعطيكم خصم خمسة بالمائة إضافية تكريما لوقفك التأملية.. كلها لوحات أصلية ونادرة وأصيلة ولكن نادرا ما أجد أحدا من الزبائن أو الزوار يقف أمام أية لوحة، أنا خريج أدب إنجليزي ودرست عن فناني كبار حول العالم وأعتقد أن مستوى هذه الأعمال راقية.

هنا تسارع سمر لجر الكاتب حتى لا يكشف عن هويته ككاتب وصحفي، شاكرا المدير بلطف، ساحبة كاتبها، قابضة على يديه اللتين بدتا دافنتين، بينما هي تشعر ببعض البرودة؛ وكأنها تخاف أن ينقطع هذا الحلم ولو لثانية.

في بيت الكاتب وبالمطبخ، تحترق طرف يد سرية وهي تستخرج صينية

الكعك وتكاد الصينية تقع من يديها، تتدارك بسرعة وتضع الصينية على الطاولة، تقترب رقية مواسية أمها :- ماما أنتبهى كنتي راح توقعي الكيكة.. ماما أنت خايفة أن الجنية راح تأخذ أبي.

تكاد الأم تفقد أعصابها لكنها تتماسك :- حبيبتى رقية أبوك ما راح يأخذه أحد.. أبوك يجبك ويجب عبد السلام ويجبني .

تصمت الطفلة، يأتي عبد السلام يشكو من وقوف صوت سيارة الإسعاف.

عبد السلام :- ماما كل البطاريات تقليد تعمل شوي وتوقف .. اتصلي بأبي يشتري بطاريات جديدة أو أرسلني له رسالة.

تظل الأم ساكنة لبعض الوقت وتتأمل وجه عبد السلام الذي يركض ويبحث عن الهاتف ثم يسرع يعطيه أمه.

تتسمر للحظات ثم تتصل فتجد هاتفه مغلقًا، تبعث له رسالة بطلبات عبد السلام، تشعر أن حالة عبد السلام سيئة وأنه يفقد الشعور بالأمان مع توقف صوت سيارة الإسعاف وضرورة أن تجد حلا للمشكلة أو تذهب به إلى طبيب نفسي.

مع دخول سمر إلى الشقة وهي تمسك يد الكاتب وتسحبه برفق، تغلق الباب وهي فرحة بهذه الفخامة المريحة، توجد صالة كبيرة وأخرى للطعام وثلاثة مفروشة فرشاً أرضياً للمقيل وغرفة نوم واسعة. تتجول

وهي ترقص وتنزع الباطو والحذاء وتتخلص من فانيلتها الصوف، يضح المكان بالعطر والبخور، يوجد عقد من الفل والياسمين على سرير النوم، تأتي وهي ترقص، بينما يظل الكاتب يتأمل صورة مكبرة وأنيقة لشجرة دم الأخوين، هذه الشجرة تسحره وتزج به إلى عوالم تخيلية لا محدودة.

ترقص سمر وتغني أغنية يا هزلي يا هزلي وبطريقتها ولحنها الخاص:
يا هزلي يا هزلي إذ لقيت اليوم خلي^(١)
يا هزلي يا هزلي قد نزلت البير أصلي
تحت رمانة كبيرة وعناقيد الخضيرة
صوت من ذا الأعجم صوت الأعجم قد تغنج قد تكحل
يا هزلي يا هزلي
قد نزل صنعا المدينة يخطب البنت الصغيرة
أما الكبيرة هي لعينة أكلت نص الجحينة
يابنات صنعا المدينة شغلكن شغل المكيينة واكلكن تفاح وليمه

(١) يا هزلي يا هزلي وهي أغنية شهيرة من التراث اليهودي اليمني ولها لحن صنعاني خاص ولحنها الموسيقار اليمني أحمد فتحي بمعالجة خاصة وغنتها بلقيس أحمد فتحي وهناك تراث غنائي موسيقي ضخم ليهود اليمن حملوه معهم إلى اصقاع أوروبا وأمريكا ومن الفنانات اليمنيات المشهورات شمعة بنت طوي.

يا هزلي ياهزلي

صوت من ذا صوت مغرم صوت شادى جد ترنم

كان له عاشق متيم في الهوا قلبى مهيم

ياهزالي ياهزالي

يابنات صانعا المدينة بينكن روى مهينة

منى مغنى من يعينه يخطب البنت الحزينة

ياهزالي ياهزالي

أنته حبيبي لي ولي.

هو يستمتع بالصوت والأداء والرقص وتبدو له بعض الملاحظات،

يحاول أن يوصلها بسهولة.

هو :- والله ممتازة، برافو لكنك غيرت شوي باللحن وعملتي تقديم

وتأخير والبيت الأخير مو من الأغنية.

تضحك، تقرب، تلتصق به، لم يعد يفر أو يتحاشى الالتصاق

الجسدي معها.

هي :- أعرف أن صاحبك أحمد فتحي لحنها وغناها مع بنته بلقيس في

دار الأوبرا بمصر، غنتها بلقيس بأشكال كثيرة وحتى مرة قدمتها كأنها في

ديسكو، لكن نحن البنات نغنيها بطريقتنا الخاصة بنات صنعاء المدينة.

يستغرب من معرفتها بهذا أشياء، يتغلغل سحرها وجاذبيتها بدواخله وهو لم يعرف قصتها كاملة.

هو :- حيزتي كم يوم هون؟

هي :- شهر وأعطيت نصف المبلغ وقلت لهم النص الثاني بعد يومين..
أسمع راح أطلب عشاء عرسان وكرمان زجاجة ويسكي، وبكرة نشترتي
ملايس وتأخذ كمان لأهلك كل شيء، المال مالك وأنا ملك يمينك..
خليني نرتب الليلة وأنت لو تحب خذ دوش إن حبيت رغم أني أفضل
راحة جسمك الطبيعية أشعر أنها ستجعلني أشعر بالنشوة إلى فوق
فوق.. أتمنى ترفعي إلى السماء السابعة.

في بيت الكاتب

تشير الساعة إلى الساعة مساءً، بصالة البيت المتواضعة في فرشها ما
يميزها وجود رسومات الطفلة الصغيرة رقية، بعض الرسومات لافتة
للنظر بتلويناتها وخطوطها التي يمكن لمن يراها أن يشعر بأن ثمة حكاية
وراءها. تكون سرية بالصالة مع ضيفة، امرأة تحمل بعض الوصفات
الطبية لطلب الارشادات، أصبحت سرية مشهورة في الحارة وبعض
الحواري المجاورة بتقديم بعض الخدمات الصحية؛ مثل ضرب الحقن
في العضل أو الوريد أو قياس الضغط والسكر والمجارحة، وهي تقدم
خدماتها كمتبرعة وأحياناً تقبل ما يقدمه لها المراجعات؛ حيث إنها تقدم

خدماتها للنساء والأطفال ونادرا ما تنتقل إلى بيت؛ فهي تعشق بيتها وتهتم بكل شؤونها، وقد تخرج إلى السوق بحي القاع أو السوبر ماركت بشارع الجامعة القديمة وأحيانا تأخذ طفلها وطفلتها لشراء بعض الأشياء من شارع هائل أو شارع التحرير.

مع بداية الحرب والمتغيرات أصبحت ككل الناس تشعر بالخطر وتقلل من حركتها. يشتعل الشوق بدواخلها لزيارة مدينتها صنعاء القديمة لكنها لا تريد مشاكل مع إخوانها الذين أكلوا حقها بالميراث ومنعوها من القرب من زيارة حارتها الأصلية، تشعر بالمنفى وقسوته، وتسترق أحيانا بعض الفرص للتجول هناك وهي متخفية.

تقوم الضيفة، تتجول بالصالة وتدخل المطبخ ويبدو الفضول على وجهها، تدعوها سرية للجلوس بعد أن طلبت من طفلها وطفلتها اللعب في غرفتهما.

تكون سرية بجلابية صنعانية عادية ونصف كم، يظهر جزء من صدرها، تقدم الخدمة لضيفتها والتي تأتي معها بعلاج يساعد على خفض التوتر والقلق.

تسأل الضيفة العديد من الأسئلة عن مصدر الدخل لسرية وزوجها وأشياء عن حياة هذا البيت، وفي كل مرة ترد سرية بعبارة الحمد لله،

وتشعر أخيراً بثقل وفضول هذه الضيفة وكأنها جاءت لشيء آخر وليس طلب خدمة صحية بسيطة جداً.

سرية :- بصراحة أنا مشغولة مع الأولاد وشكرالك على زيارتنا.
تحقق الضيفة وتأمل جسد وصدر سرية بشكل جعل سرية تأخذ الشال لتغطي صدرها.

الضيفة :- أنت جميلة قمر ومن يراك ما يصدق أنك حبلتي وولدي
تقف سرية ويبدأ الغضب في وجهها.

سرية :- شكرالك يلزمك تمشي

الضيفة، تصمت، تحقق فيها ثم تبدأ بالحديث :- شوفي أنا معرفة
أجلب الحظ والسعادة للبيوت التي أزورها وأخذ منها الحلوات، الحياة
متع وسعادة وجمالك هذا يستحق وزنه ذهب مش بيت بسيط بحارة تحت
الأرض.. عندنا مشغل خياطة وأشياء أخرى تعالي لزيارتنا هو مش بعيد
عنك بشارع الجامعة الجديدة، خياطة وتفصيل ملابس على الموضة وكمان فرح.
تظل سرية مصدومة من وقاحة العرض، تصاب بالجمود للحظات ثم
تزعق بيها بغضب تطردها وتسبها

سرية :- اخرجي يا فاجرة من بيتي أنا شريفة

تدفعها إلى الخارج، تطردها شرطردة وتغلق الباب الخارجي بالمزلاج.

تعود إلى الصالة تكون غير مصدقة لسفالة هذا العرض وكيف بلغ
بمثل هذه القوادة أن تعرض العهر على امرأة متزوجة ولديها وأطفال،
تتطير الأسئلة في رأسها نحن في بلد حرب والموت يأتي من كل نافذة،
محطات الإذاعة والتلفزة تحكي عن الإيمان والفضيلة وتنتشر مئات
اللوحات الضوئية الدعائية بعبارات وشعارات من نصوص دينية.

ماذا يحدث في هذا البلد؟

ترد على نفسها :- نحن في بلد حرب وكل البلدان التي عصفت بها
الحروب سنعاني ونعاني ويحدث الاضطراب فينا جميعا.

تبدو مقتنعة بتحليلها، تأخذ شهيقاً وزفيراً عدة مرات لخفض توترها،
وهنا تنتبه إلى أن الضيفة نسيت كيس أقراص المهدئات وخفض التوتر،
تمسك بالكيس وتعيد مراجعة ما بداخله، تأخذ علبة صغيرة لحبوب
مهدئ، تفتحها وتأخذ واحدة، تشرب القليل من الماء، ترمي بجسدها
على الأريكة لأخذ القليل من الراحة.

بديوان الشقة الفخمة

يتكئ الكاتب، يتأمل دخان البخور العطر الذي يتعالى بطريقة لولبية
برفق ولطف. بقرب المبخرة قنينة ويسكي من النوع الفاخر وبعض الثلج
وماء معدني وقناني مشروبات غازية موضوعة على طاولة صغيرة خشبية
مزخرفة وكأنها قطعة أثرية، يمسك هاتفه المربوط بالشاحن، يأخذ رشفة

من كأس الويسكي ثم يضع الكأس بقربه، يطلع على رسالة زوجته وطلب طفله عبدالسلام ببطاريات شحن أصلية للعبة عربية الإسعاف، تأتي سمر وهي تحمل منشفة بعد غسلها لعيدان القات الفخم هدية قائد الدورية، تكون سمر بفستان قصير لمنتصف الفخذين يميل إلى الوردي مع نقشات زهر بيضاء ونقاط خضراء، تضع على صدرها شالا شفافا بلون أخضر خفيف.

تقترب وتجلس بجواره، تبعد وسادة فاصلة بينهما وتضع منشفة القات بقربهما، تمد تأخذ عودا وتضعه في فمه، هو كمن يفكر برد على رسالة زوجته، يكتب إليها (حاضر حبيبتي أنا خارج صنعاء بمدينة المحويت.. نرجع بكره).

سمر :- الليلة نحن ملك بعض، أنا أرسلت إلى أم الجميلات أني ماراح أعود وبكره أرسلها بحوالها شوية فلوس وأنهى خدمتي معها وأغلق هذا الباب إلى الأبد ومعك نبدأ صفحة نظيفة وطاهرة.

يستوي وينظر إليها هي تلتصق به وتميل بخدها ليأخذ قبلة، يفهم مقصدها ويقبلها ثم يتحدث بجدية.

الكاتب :- قبل أن أسمع قصتك كاملة، أشعر بأن الدنيا قست عليك، فقط أريد أن أوضح لك انني لست الرجل الكامل المثالي ولا الخير المطلق، أنا مثل أي إنسان أقع في أخطاء ونزوات، وبني الكثير من التناقضات.. بعد

تجارب كثيرة فكرية ومع أحزاب و...و...، اقتنعت أن أكون مستقلاً ومن أول دقيقة حرب قررت ألا أكون مع أي طرف وأن لا أشارك بقلمني في تشجيع الصراعات والتدمير والرعب الذي يحدث وستظل تأثيراته لسنوات وربما لعقود، هؤلاء يفسدون حياة الناس اليوم والجيل القادم سيدفع أيضاً ثمن صراعتنا وحرورنا.. تفهميني، لا أنا لا مفكر ولا قديس ولا مصلح اجتماعي ولا ثورجي.

تبتسم وترخي جزءاً من الشال لتعري جزءاً من كتفها.

هي :- أنا أفهمك قلت لك ناجحة ثالثة إعدادي وكنت شاطرة بالإنجليزية وثققت نفسي بنفسي.

هو :- لكنني ما أريد أخون زوجتي.. في الحقيقة سبق وأن ارتكبت حماقات صغيرة وشعرت بألمها.

هي :- لكنك معي تنقذني من الضياع والوحل الذي أعيش فيه، أنا ابتكرت حياً حتى ما يمارسوا معي لكنني أعرض لهم لحمي برقصي وأطيع طلباتهم بغناء أغاني مغربية شهوانية.

هو :- طيب أسمع قصتك الآن

تبتسم.. حاضر يا ملكي شهريار، خيلنا نأخذ قات ونشرب ويسكي وأحكى لك قصة تصلح أن تكون رواية قوية وفاجعة.

في صالة بيت الكاتب، تكون سرية في حالة غفوة، تفتح عينها، ترى الضوء مشوشا، رؤيتها للمكان مهزوزة قليلا، تحاول أن تفيق وتجمع نفسها، تأخذ كيس الأدوية، تنهض وتسير إلى غرفة النوم، تتجه نحو دولاب الملابس وتضع الكيس في خانتها الخاصة، من عادة زوجها ألا يفتح هذه الخانة ولا يتعرض إلى حاجاتها، هو ليس من نوعية الرجال الذين يشكون في زوجاتهم ويفتشون في حاجات نساءهم، لم يمس يوما هاتفها ولا يسألها عن صديقاتها، هي أيضا تحاول منحه خصوصية خاصة، تذكر ذات مرة عندما أخذت هاتفه ووجدت رسالة من جانب الصحفية الفرنسية التي دفعته لنزوة عابرة، بعد ذلك اعترف لها أنه كان تحت تأثير الكحول وخاصة الفودكا المرعبة ففقد توازنه، غفرت له زلته وهي تعلم أنه لا يوجد رجل بلا زلات، هم الرجال هكذا.

تتماسك وتهم للعودة إلى غرفة الأطفال، هنا تدخل رقية ويدها كارت، تعطيه أمها.

رقية :- خذي ماما هذا كارت يمكن يفيدك

تأخذ الكارت وتتأمله، كمن يصاب بالصاعقة وكأنها تراجع عبارة طفلتها، هذا كارت عنوان وأرقام تلك الضيفة السافلة، تمزق سرية الكرت إلى قطع صغيرة وترمي به وتدوسه، تنحني إلى طفلتها وتضمها إليها.

تردد بصوت مسموع :- مستحيل حبيبي رقية، مستحيل اتصل بهذا الكارت، أجوع وأموت ولا أفعل ذلك.
تبتسم، الطفلة، تعود لتعانق أمها وتقبلها وهي تردد:- نحبك يا أمي.

الفصل الرابع

الثامنة ليلاً، على الجزيرة الصغيرة بالبحر الأحمر، تلاطم الأمواج الصخر الساكن، صوت ضجيج البوم والأمواج والرياح، الفراغ واللا شيء وفرقة صغيرة من الجنود يمسكون بنادقهم الرشاشة، فقط أحدهم يمتلك منظارا ليليا، ولكن لا شيء غير موجات تسير ببطء، وقد تدفعاها الرياح لتركض وتلهث ويكون مصيرها النهائي أن ترتطم بصخور ذات حواف غير مستوية.

داخل السرداب والنفق العميق حيث يجلس الأستاذ سعد، تأتي تعليمات جديدة تطلب تحركات، وغان دور سعد، الإعلامي والصحفي الشجاع أن يقدم موهبته البديعة في التعبئة ووصف البطولات. يأتي ثلاثة من الأفراد كي يستدعوه لكي ينهض صاعداً ممتطياً زورقا مهمته تصوير عملية بحرية عسكرية نوعية ومهمة، لكنهم يجدون رأسه فوق كتفه الأيمن مدلدة، يهزونه، فلا يرون سوى عينيه المفتوحة بلا بريق، يهزون جسده فإذا بالجسد متثلجاً بارداً كشجرة شتوية في مملكة الفراغ، يحر كونه يميناً ويساراً، يشمون رائحة براز نتن، لقد فعلها على نفسه، لا حراك بالجسد، يدركون أنهم مع جثة نتنة ومقرفة، يتركونها. ثم يصعدون

إلى الأعلى، يجبرون قائدهم بما حدث، يسارع القائد ويرسل رسالة بأن الصحفي سعد قد مات.

تأتي الأوامر العليا بأن تُرمى جثته بالبحر، فتسارع مجموعة مكرهة لحمل الجثة وقد وضع أفرادها أقنعة وماسكات بسبب النتانة وما أفرزته الجثة من فضلات قدرة، وخلال أقل من ساعة يتم رميها بعرض البحر أملين أن يأتي الموج ليقذف بها إلى البعيد البعيد.

في الديوان الفخم بالشقة المفروشة، يكون فم الكاتب ممتلئاً بالقات، يقطف ويدس في فمه المزيد، يتجرع كأس الويسكي بالثلج، يبدو أن سمر تكمل حكايتها وتختتم بعبارات ممزوجة بالألم.

سمر :- هل تتخيل أن تعيش لسنوات عدة مع رائحة الموت ووجوهه. كانت الدودة تأكل زوجي ببطء شديد، كل يوم تزيد نتانته، في بيت كالقبر تعبت به الرطوبة والظلمة، وأنا الشابة الوردية بموسم النضوج، أتعلم لأول مرة في حياتي مارست الاستمناء كانت بسبب إحدى قصصك، وجدت أحد كتبك بالرصيف وكنت أبحث عن بعض التسلية، قرأت وقرأت وتخيلتك تفعلها معي، سلمتك نفسي ومددت يدي لتعبت بأشياء الأثوية، وحركت السبابة برفق ولطف لتلامس أشياءي الأثوية وتماديت أكثر وأكثر إلى أن شعرتُ بالرعشة واللذة.

كنت أنت أول من نبهني إلى أنوثتي وأن بمقدوري الشعور باللذة،

لا أتذكر الآن كل شخصياتك لكنك منحنتني الشجاعة أن أتلذذ وأهزم مناخات الموت المحيطة بي، سالم العجوز والأب الذي شكى لله نكران الأبناء والبنات، كان يستغفر لذنوبه ويناجي الله بقوله كسبت المال بالحلال والحرام وبنيت عمارات فخمة وهأنا بقبر عفن، ما كان يخفف عنه وجودي، وكثيرا ما كنت أغني له وأرقص عاربية، في أيامه الأخيرة فقد السمع ثم البصر والكلام إلى أن جاءه ملاك الموت وقد تعفن تماما.

يكاد يشفق عليها من هذه التجربة القاسية. ها هو يجد الشجاعة كي يجذبها إليه برفق ويقبل خديها وهي في حالة من الدهول وكأنها لاتزال تعيش في ذلك القبر، يعيد جذبها إليه بقوة، ينتزعها من القبر البارد المتعفن ورائحة الدود والرطوبة إلى هذا المكان المتوهج إلى ضجيج البخور والعطور والويسكي وعطر الياسمين، إلى صدره، ينهال بقبلات هادئة ورقيقة، تفيق، تتمسك بشفتيه، تعانقه بحرارة للمرة الأولى، ترمي بشالها الأخضر بعيدا وتتمادى أكثر وأكثر.

في بيت الكاتب

بغرفة النوم، بسرير النوم تمشط سرية شعر طفلتها رقية، تدهنه بزيت الزيتون وتمشطه برفق، يأتي طفلها عبدالسلام، كأنه يحمل خبرا وقرارا مهما، يعانقها، تقبله.

عبدالسلام :- ماما أنا فهمت خلاص صديقي مروان راح عند الله،

هذه سيارة الاسعاف لعبة صغيرة ما يقدر يدخل فيها صديقي مروان ولا غيره، ما أريد بطاريات جديدة وراح أرمي بها.

يرمي بها بعيدا، تظل تستمع إليه متببهة.

عبدالسلام :- ماما أنا تعبان ونعسان ممكن أنام بجنبك.

تقبله بحنان.

الأم :- طبعا حبيبي وحياتي.

يلتصق بها ويغمض عينيه، تفرح كثيرا لما وصل إليه من استنجات،

تواصل تمشيط شعر رقية وهي تقبلها.

الأم :- رقية البنت الحلوة، بكرة بابا يجب لك الفستان وأجنحة

الملائكة هو الليلة في عمل بالمحويت خارج صنعاء.

تهز رقية رأسها بإشارة لا.

رقية :- بابا في مكان والسقف كله نجوم زرقاء، هو يمشط شعر الجنية

الحلوة.. تدرين يا ماما عندها علامة بصدرها.

تكشف رقية وتشير إلى مكان في يمين الصدر.

تدخل الأم في حالة تخيلية، أتصدق خيالات رقية أم تثق برسالة

زوجها.

في هذه اللحظة، وعلى سرير النوم بالشقة الفخمة، تُلقي سمر بجسدها

في حضن الكاتب، تناوله مشطاً وتطلب منه أن يمشط لها شعرها، المنظر يشبه كثيراً توصيفات الطفلة رقية، أضواء تشبه سماء مرصعة بالنجوم بالسقف، السرير الوثير والوسائد الكثيرة المزركشة الناعمة، تستدير سمر وتكشف عن صدرها لترى الكاتب علامة تشبه الشفق أعلى نهدا الأيمن.

سمر :- ولدت بهذه العلامة وأحد العرافين قال لأبي ابنتك ستجد زوجاً مهماً يحبها وتصير أميرة.. خلال محتتي كفرت بنبوءة العراف لكن لحظة شوفتك، خفق قلبي وكأني ولدت من جديد.

تسارع بأخذ عدة قبلات من خده وشفتيه ويكون قد تخلص من القات في فمه.

يبدو منصاعاً لكل رغباتها، ثم يبعدها برفق.

هو :- تعطيني من القداسة أكثر من حجمي.. ماذا لو أنني أخذت مالك وغدرت بك.

تبتسم مهدوء :- سأحبك وأنتحر.. وسائل الموت بسيطة ورخيصة ومتوفرة فقط تحتاج منا القناعة والرغبة والشجاعة.

في بيت الكاتب، بغرفة النوم، يكون عبدالسلام نائماً بجوار أمه باليسار ملتصقاً بظهرها، وتكون رقية نائمة ملتصقة بصدر أمها. تحديق الأم بالسقف العاري من أي زينة، وتظل لبعض الوقت في هذه الحالة

من اللا حلم، ثم تنزع نفسها برفق، تستوي وتمرّش رأسها، ترك السرير وتغادر إلى المطبخ، تعد كأس شاي، تأخذ جرعة، تنتبه إلى علبة سجائر، تتجه نحوها، تجذب بعض السجائر، تأخذ واحدة وتشعلها، تأخذ عدة أنفاس، تسعل وتسعل، يحمر وجهها، تطفئ السيجارة وتعود إلى الغرفة، تتجه نحو دولاب الملابس، تفتح فردتها، تستخرج ذلك الكيس الذي يحوي حبوباً مهدئة، تأخذ واحدة، تعود إلى المطبخ وتأخذ قنينة ماء، تدفع بالحباية إلى داخل فمها، تدفع بجرعة من الماء، يقع رأسها إلى الأسفل، تسير بخطوات هادئة، تعود للغرفة، تزج بجسدها وسط رقية وعبدالسلام، تغمض عينيها.

بالشقة الفخمة

على سرير النوم في الشقة الفخمة، يشعل الكاتب سيجارة وينفث الدخان إلى السقف الزخرف بنجمات تشع بالأزرق، تأخذ سمر هاتنها وتستخرج شريحته، تلتقط الولاة وتشعل الشريحة فتكاد أصابعها تحترق، ترمي بالشريحة المحترقة بنفاضة السجائر وتعبث قليلاً بهاتنها ثم ترمي به بعيداً.

سمر، بفرح :- أحرقت شريحة الهاتف ومسحت كل الأرقام، غدا نشترى رقمًا جديدًا يكون رقمك الوحيد بهاتفي.

تنهض وتأخذ حقيبتها وتستخرج ورقة ثم تترك الحقيبة بجانبها، تمد بالورقة إلى الكاتب.

تبتسم وتتأمل وجهه وهو يطالع الورقة.

هي :- هذا فحص إيدز عملته اليوم.. النتيجة سلبية ولو تحب تتأكد عندي هون فحص إيدز فوري.

يظل صامتا لبعض الوقت، تستخرج من حقيبتها فحص إيدز فوري، تعمل الفحص والذي تظهر نتيجته في دقيقتين أو ثلاثة تكون النتيجة سلبية.

يظل كالمشاهد، ترمي بما في يدها وتستخرج من حقيبتها ثلاثة واقيات ذكورية، ثم ترمي بالحقيبة بعيدا.

هي :- خلاص نهارس ونستخدم الواقيات الذكورية.

تضعها تحت مخدتها وتكشف عن صدرها النابض بالأنوثة والإثارة.

هي :- كثيرون يقولون أني أشبه الممثلة الهندية كريتي سانون، الفرق أنها أكثر مني طولا وفمي أصغر من فمها.

يتوجه إليها مستسلماً لكل رغباتها لتقوده كما تشاء. تنزع ملابسه

العلوية وتهيم لتقبيل صدره ثم تتجه إلى الأعلى، تنال من شفثيه وتمد يدها إلى أسفله، ثم تعود لتقبل صدره وتنزل لأسفل وأسفل فيظل في حالة

سكون تام، تمارس مداعباتها يمنعها ولا يشجعها . يرفعها إليه ويستوي جالسا.

هو :- لا شيء يستجيب .. لا حراك فيه .. موقف مهين ومخجل لأي رجل .. يبدو أني لا أنفع لأي شيء .

تحاول طمأنته بسيل من القبلات اللطيفة مع همسات رغبتها المثيرة، تستمر بمداعباتها لأشياءه وتنهيدات المثيرة .. أخيراً، تسرع بفتح أحد الواقيات الذكورية وتلبسه إياه، تمتطي جسده، كفارسة محترفة، هو يشعر برجولته، باللذة التي تشتعل أكثر وأكثر .

في الصباح الباكر، تكون رقية أول المستيقظات فتحدث بعض الضجيج، تستيقظ الأم برأس ثقيل، وينهض عبدالسلام، ليرفع رأسه ثم يعود تحت الغطاء، تقرب رقية وتقبل أمها وكأن لديها خبرا جديدا.

رقية :- بابا جاي ومعه كيس فلوس كبير .. اشتري عروسة كبيرة ترقص وتغني وبفستان أزرق ما تشبه جنية بابا.

تذهب رقية لمشاكسة عبدالسلام، تغادر الأم غرفة النوم وتدخل المطبخ وهي تفكر بما قالته طفلتها رقية، ترى علبة السجائر، كأن نفسها تدفعها نحو العلبة، بحركة سريعة تتجه نحو العلبة، تأخذ سيجارة، تشعلها وتنفث دخانها إلى جهة نافذة المطبخ.

في صالة الشقة الفخمة، تظهر سمر ملفوفة بمنشفة بيضاء، تحيط رأسها بمنشفة أخرى بعد استحمامها. تجلس لترتيب مائدة متنوعة على طاولة وسط الصالة، تحتوي المائدة على إبريق من عصير البرتقال الطبيعي. عدة بيضات مسلوقة ومقشرة، في صحن صغير من الزبدة بجواره صحن صغير من زيت الزيتون، وصحن من الكبدية وطاسة من الفول المدمس بالتحبيشة وزيت الزيتون والفلفل الحار، ثلاثة أرغفة خبز ملوح مقرمش بأحجام صغيرة، براد شاي ودلة قهوة وقنينة ماء معدني.

يأتي الكاتب وهو يفرك شعره المبتل قليلا لكنه جاهز بملابس الخروج.

هي :- حبيبي وعمري.. برافو عليك البارحة كنت ثمانية على عشرة.

بيتسم ويأخذ فنجان قهوة، يشعل سيجارة ويهازحه.

هو :- خيبة وفشل يعني مش عشرة على عشرة.

تنهض وترمي بصدرها في صدره.

هي :- أنت سيد الرجال والبارحة ثمانية لكن الليلة راح تصعد إلى

ثمانية وربع وكل ليلة حتى تصير عشرة على عشرة.. أظفر حبيبي يلزمك

تتغذى وتفرض الهموم من رأسك يا فارسي الأصيل.. شو مشروعك اليوم؟

يضع فنجانه ويأخذ عدة شفتات من سيجارته.

هو :- يلزمني نروح شقة سعد ونأخذ شوية فلوس منها.. نروح إلى مستشفى علاج السرطان ونحجز علاج أم مروان شهيد الميزان الثاني، حكيت لك البارح قصته، مات المسكين دهسته سيارة واحد من.. المهم أقل شيء نحقق أمنيته ونعالج أمه وأنت شو برنامجك؟
تعود لتقبيله.

هي :- نحول مبلغ لأم الجميلات وخلص نقل الباب معها ومع الماضي كله وهي تجبني وماراح تتعيني ولا تقلقني لا تحمل أي هم.. بعدها نشترى لك حبيبي ملابس وأحذية وكل شيء، ونشترى شوية حاجات لي وأرجع بعدها أنتظرك شاعري وحبيبي.
تعود وتندفع لتغرس نفسها في جسده.

هو :- خلاص أوكي. نرجع لك على الغداء لكن متأخر شوي..
يلزمني نرجع إلى البيت ونشوف العيال.

في بيت الكاتب، تنهي سرية الكنس والترتيب وتفرغ لتدريس عبدالسلام ورقية.

عبدالسلام :- ماما أنا خلاص مش خايف وخلص أريد أعيش معك وما أحب أموت ولا أريد أسرح بالميزان.. لو يقصفونا أموت معك.
تسرع الأم بضمه وتقبيله.

الأم :- حبيبي ربنا يحميننا من قصفهم وإن شاء الله ربي يحفظنا جميعا.
رقية :- ما في قصف ولا صواريخ على حارتنا.. بابا يأتي ومعه فلوس
كثيرة.. لكن جارتنا راح تموت ويزعل بابا ويبيكي.
تصاب الأم بالدهشة وتسألها.

الأم :- أي جارة حبيتي؟

رقية :- أم مروان صاحب عبدالسلام..أنتي كمان راح تبكي.

مع دخول الكاتب عبدالحميد لشقة سعد، يسارع لأخذ المال من
دولاب غرفة المال، يجمعه في كيس بلاستيكي، ويلقي نظرة على المطبخ،
يجد زجاجة ويسكي، يتوجه ليأخذها ثم يتركها ويخرج سريعا، يغلق
الباب، يسارع بالنزول، يضع مفتاح الشقة بصندوق رسائل ادارة السكن
ويسارع بالخروج.

بعد نزوله ومغادرة الشارع تأتي دورية بثياب مدنية وتدخل باب
العمارة، تدق بوابة حارس السكن وتطلب منه فتح شقة سعد، يسارع
ويأخذ المفتاح الاحتياطي، يصعدون ويفتشون لا يجدون سوى قنينة
الويسكي بالمطبخ.

ينتقل عبدالحميد إلى مستشفى تخصصي لعلاج السرطان ويلتقي أحد
الأطباء ويشرح له حالة أم مروان السويدي وأنه سيضع المال لعلاجها،
يطلب منه الطبيب أن يحضر الملف الطبي والمریضة.

يسارع وكأنه يسابق الزمن للوصول إلى الحارة، تضعه سيارة التاكسي عند مدخل الحارة، بعد عدة خطوات، يسمع صوت نعي الفقيدة زوجة السويدي، يتسمر بمكانه قرب مقهى سعد الله والذي يكون مفتوحا ويشير إليه سعد الله.

سعد الله :- عظم الله أجركم وأجرنا أستاذ كلنا لها..ربي يرحمها وابنها..هم من السابقين ونحن من اللاحقين.

يدخل الكاتب بيته منكسرا، تسارع زوجته لمواساته، تسارع رقية وتعلق برقبته، يسلم الرجل إلى زوجته الكيس الذي يحتوي المال، تلقي الزوجة نظرتها الأولى، تتجمد في مكانها كمن ينتظر تفسيراً لما يحدث، يبكي عبد الحميد بحرقه.

عبد الحميد :- ذهبت مستشفى علاج السرطان علشان أدفع المليون لعلاج أم مروان، طلبوا مني التقارير السابقة وأحضر لهم المريضة، أول ما وضعت قدمي بالحارة سمعت نعي وفاتها، المسكين مروان تمنى الشهادة والموت من شان حياة أمه، هو مات وهي لحقته..نحن قصرنا معهم.أنا جبان وجبان لا كتبت عنه ولا عن ميزانه..هذه فلوس تركها لي سعد..خذها وتصرف فيها..لما يرجع سعد نشوف حل ونسدد له فلوسه.

تسمر الزوجة للحظات ولا تدري كيف تنقل له الأخبار الجديدة.

الزوجة :- حبيبي ما سمعت أخبار اليوم؟

ينظر إليها ويبدو أنه مجهل ما تعنيه، تمسك الزوجة بهاتفها.

الزوجة :- أيها الشعب المناضل العظيم، نرف لكم استشهاد سعد مهدي، الصحفي الإعلامي القدير وذلك خلال تغطياته للمنجزات العظيمة على الساحل الغربي وجزرنا بالبحر الأحمر ويعد الشهيد من أبطال هذه الملحمة الخالدة.

يشير إليها أن تتوقف، يضحك.

الزوج :- قبل أمس اتصلوا به لمهمة خاصة، كان يرتعد من الخوف ويولول ويقول نهايته، ربما قتلوه ليتخلصوا من الماء الوسخ أو مات خوفا ورعباً، أي واحد يبيع لهم أو لغيرهم نفسه يستخدمونه كورق المرحاض مرة ويصير قذراً ومكانه المجاري، لكل بداية نهاية.. ربي يرحم الكل.

الزوجة :- وأنت ما اتفقت معه؟

الزوج :- قلت لك يريدني أكتب عن طفل الميزان بقصف دار الرئاسة، يبدو أنهم غيروا سياستهم بعد طفل ميزان حارتنا.. كان هناك مئات اللافتات عن طفل الميزان من البارحة إلى اليوم بدأت تخنفي.. كل دعاة أطراف الحرب ما يهتمهم طفل ولا مليون طفل يموت.. كل الحروب وبكل زمان ومكان قذرة لا حياة فيها لطفولة ولا حلم.. خذي المال وسددي كل الديون واشتري لك وللأولاد ملابس وكل شيء.. أنا عندي عمل بمحافضة المحويت.

تقترب منه الزوجة وتحاول النظر إلى عينيه.

الزوجة :- المحويت أم الجنية التي عندها ندبة بالصدر على النهدي الأيمن... رقية تخبرني بكل تحركاتك.

يتجمد للحظات، يتسم ويأزحها :- حبيتي أنتي ملاكي وشيطاني وجنيتي.

يسرع للركض ليمسك رقية، تأخذ الزوجة المال وتدخل الغرفة، يقبل الأب طفلته ويهمس لها.

الأب :- حلوتي رقية بابا يشتري لك هدايا كثير كثير بشرط ما تحكي لماما عن بابا والجنية.. اتفقنا.

كأن الطفلة تريد أن تملي شروطها.

الطفلة :- بابا هدايا كثير كثير مش كذب.. قل والله

يقسم الأب ويعقد الاتفاق مع طفلته رقية.

هنا يرن هاتفه، يجيب، يسرع إلى المطبخ، يفتح النافذة ويرد.
هو :- مرحبا.

المتصل :- مرحبا صديقنا الكاتب والشاعر معك شداد.

يرد مازحا :- عنتر بن شداد

المتصل :- صديقك العقيد شداد.. نسيت صوتي؟

هو :- عفوا سعادة العقيد.. أكيد الآن عرفت صوتك المتصل :- محتاجك ندردش شوي لو عندك وقت؟
هو :- استجواب جديد .. تحت أمرك المتصل :- يا أخي عيب عليك لا استجواب ولا شيء نحن أصدقاء وبيننا عيش وملح.

هو :- تحت أمرك .. آجيك أي قسم أو تبعثوا لي؟ المتصل :- لا قسم ولا شيء .. نلتقي بمقهى الأسكيمو بشارع الحمدي مكان جديد وظريف .. خذ أي تاكسي يوصلك بسهولة .. نلتقي بعد ساعة .. منتظر كحبّوب.

ينتهي الاتصال ويخرج إلى الصالة تقابله الزوجة.
الزوجة :- رقية حكّت لي تفاصيل ليلتك يا شهريار .. عندنا جانيت ثانية .. شو هذه الجنية؟

يضحك :- لا جانيت ولا جنية وهذه رقية عندك .. عندي عمل مع منظمة نوزع سلال غذائية يومين ثلاثة أو أسبوع وعندك الفلوس ولا تنسي تعطي شوية لبيت مروان الأسود وتصرفي كما تحبين . أنتِ زوجتي اليمينية الأولى والأخيرة.

تبتسم الزوجة، يسارع بتقبيلها ثم تقبيل عبدالسلام، ينتهي بتقبيل رقية ويعانقها كأنه يؤكد على اتفاقهما.

بالشقة الفخمة، تعود سمر محملة بالكثير من المشتريات التي تكاد تملأ الصالة. تنزع الباطو والحذاء وتبدأ تفتح الأكياس الكثيرة. عديد من الفساتين وفساتين نوم مغرية بمختلف الألوان والكثير من قناني العطور. ملابس متنوعة للكاتب وبيجامات نوم وعلب عديدة للبخور، تستعرض كل هذا وهي تنظر للساعة التي تشير للثانية عشرة ظهرا.

تتجه إلى المبخرة الكهربائية وتقوم بتشغيلها، تضع كمية من البخور، تجعلها تحتها وترفع فستانها لتبخير جسدها، تبرق الرغبة في عينيها.

يتوقف التاكسي بالكاتب مقابل عمارة ومجمع تجاري، يسأل عن مطعم الأسكيمو، يصل إلى بوابة المطعم حيث قطع كثيرة من الثلج عند مدخل المطعم، تستقبله نادلة أنيقة محجبة وتقوده إلى الداخل، تكون أرضية المدخل الضيق مليئة بقطع الثلج. تسبقه النادلة إلى ركن خاص حجزه العقيد شداد، ديكورات الركن وتفصيله تدخله في أجواء كهف من كهوف الأسكيمو حيث البياض وحتى الجو البارد، يستقبله صديقه شداد بكأس فودكا ليتغلب على برودة المكان.

الصديق شداد :- مرحبا بك صديقي في الأسكيمو.

هو :- ما مصدق حالي، نحن في صنعاء؟

يضحك الصديق :- صنعاء حوت كل فن ولا بد من صنعاء وإن طال السفر .

هو :- حقيقة .. أنا كنت مغفلاً كبيراً وما عايش في صنعاء وبدأت أشوف وأكتشف حاجات وحاجات .

الصديق :- صنعاء واليمن بخير .. فقط يتركونا في حالنا .. الغرباء هم من يزرعون داخلنا الفتن .

يشرب عبدالحميد، تأتي مائدة مميزة باللحم المشوي والخمر، يشير إليه شداد أن يأخذ راحته .

هو :- لحم وخمر في حضرة ضابط مخبرات .. غريبة؟

الصديق :- يا تهامي يا ناكر المعروف والصدافة .. نسيت أننا كنا زملاء في ثانوية بيت الفقيه^(١) ومرة رحنا زرنا قريتك كدف الياسمين، الله يرحمهم أهلك ويرحم تلك الأرض والبلاد .. الحرب تدمر أشياء كثيرة جميلة .

ينكس رأسه وتبدو ملامحه حزينة .

الصديق :- أنت صاحبي وأنا ندافع عنك .. يعلم الله نحن أخوة وزملاء تحته واحدة .

(١) مدينة بيت الفقيه : إحدى مديريات محافظة الحديدة وهي منطقة تهامية زراعية مهمة .

هو :- صحيح أنا كنت ابن المزارع وأنت ابن العقيد مدير الأمن .
الصديق :- أبوك كان مواطن صالح ويجوز أبي كان مسؤولاً فاسداً ..
الكون كله مركب خطأ ومش فقط بلادنا .

هو :- يا سيدي أنا تحت أمرك .. هل يوجد تحقيق معي ؟
يضحك الصديق ويطمأنه .

الصديق :- شوف باختصار أنا أخذت ملفك وشوفت أنك بالشهور
الأخيرة حالك حال نفسك وهذا شجعني أطلب مسح اسمك من أي
مراقبة وأنت حر تسافر، تقعد، تحب تعمل معهم هنا أو تظل مستقلاً كما
تحب وملفك خلاص مزقته بيدي ولا عليك خوف وعيش حياتك يا
رجل .

هو :- شهور وأنا مغلق الفايبيوك وكل شيء .. أنا جبان وتعبت كثير
وأنا أساساً مالي أي تأثير .. أشرب وأدخن وأكتب .

يبتسم الصديق :- على فكرة قصصك الرومانسية التي فيها جنس
حلوة وفيها كل شيء معنى للحياة والكون، وحتى السياسة وحكايتك
مع الموت كمان .. شوي تنقص كلمة الحرب وما الحرب .. الحرب كارثة
على الجميع كما تقول الشجر والحجر والبشر، خليك رومانسي وحتى لو
زودتها شوية جنس ما أحد يقدر يحاسبك المهم ما تكون مباشر وفاضح
لأحد .

يكمل الكاتب كأسه:- هذه هي أوامركم.. حقيقة أريد راحة وغياباً..
أنا مخمور ليل نهار.

ينهض الكاتب مستأذناً، يطلب منه صديقه الأكل.

الصديق:- خليك تتغدى معنا وبعد شوي يأتي أصدقاء وبنوات
حلوات.. شوف نحن نتعب ونسهر من أجل الوطن وسلامته وخلف
الأبواب وتحت الطاومات نأخذ راحتنا.. هنا وحتى هناك.. العالم معصود
يا صديقي ولا توجد جمهورية فاضلة كلها أمنيات. العالم يزداد عنفاً وظلماً
والله يستر من غد.. تتمتع بحياتك الحلوة.. سمر يا سمر سهرني يا سمر.

يتجمد للحظة ثم يسارع بالخروج ويبدأ التفكير في كلام صديقه
وخاصة ذكر كلمة سمر.. أيعني سمر أم مجرد كلمة عابرة.

بينما يريد أن يخطو الكاتب الخطوة الأخيرة في ممر الخروج تناديه إحدى
النادلات أن يتوقف، يستدير، يظل متجمداً في هذا الممر الأشبه بالنفق
الثلجي حيث البياض والبرودة والثلج الحقيقي بالأرضية، تمر ما يقرب
الدقيقة وربما أكثر، تثور في رأسه الكثير من الأسئلة والشكوك وما إذا
كان العقيد شديد يعرف بحكايته مع سمر، يسأل نفسه ولكن ما الذي
سيضرهم من هذه العلاقة؟

يظهر شديد بقربه وهو لم يشعر به ويشير إليه بالخروج معه.

يسأله الكاتب:- ماذا هل أنا موقوف لتحقيق آخر؟

يضحك شديد وهو يشعل سيجارة ثم يمد بسيجارة إلى الكاتب.
 شديد :- لا صديقي أنت ما عليك أي شيء ولا أحد سيوقفك..
 وصلتنى الآن اشارة عن حادث وقلت تأتي معي نرى المشهد، أعلم
 أنك كاتب والكاتب الحقيقي يجب أن يرى مشاهد واقعية يكتب عنها
 أو يستوحى منها، يا صديقي حادثة غريبة وشنيعة في بيت القوادة أم
 الجميلات .

هنا يرتجف الكاتب من الداخل بسماعه الاسم والصفة.

شديد :- قتلها أحدهم وقتل بناتها الحلوات، سبع عاهرات وقوادة
 قُتلوا قتلة شنيعة والقاتل صور المشهد وبثه بهاتفه، ويبدو أن واحداً
 من حرس البيت سمع إطلاق النار فأطلق على القاتل رصاصة وقبل
 أن يموت القاتل أطلق رصاصته الأخيرة في رأس الحارس، مشهد لو
 تتصوره تعجز عن تصويره وتخيله أفلام هوليوود.

يظل الكاتب متسمرًا كأنه يعيد مشاهدة المشهد وماذا لو أن سمر
 فيهم؟ هي قالت سترسل المال فقط لأم الجميلات ولن تدخل ذلك
 المكان، أهى من الضحايا أم تنتظره بالشقة، كيف يطمئن عليها هذه
 اللحظة وهي لم ترسل له رقمها الجديد.

يأتي سائق العقيد شديد وحارسه، يدفع شديد صديقه برفق للدخول،
 يظل الكاتب يمسك السيجارة شاردة ولم يأخذ منها نفساً واحداً، يصعد

السيارة وتنتقل في رحلتها من شارع الحمدي إلى شارع الجامعة القديمة ثم تواصل طريقها إلى حي الحصبة.

في مطبخ بيت الكاتب، تدخن الزوجة وقد أغلقت باب المطبخ، تنفث الدخان إلى نافذة المطبخ، تتأمل الضوء، تصنع قهوتها وتأخذ فنجان القهوة، تخفي علبة السجائر، تخرج إلى الديوان الصغير المتواضع، تجلس في لحظة هدوء بينما الأطفال في غرفتهم، تشعر بالاطمئنان على عبدالسلام الذي خرج من أزمته وأصبح يشارك أخته الرسم، رقية المولعة برسم الفراشات وتلوين أجنحة الفراشات وتختار بعض اللوحات لتعليقها على جدران البيت، تفتح سرية التلفاز وتقلب بالقنوات، تتعد عن سماع الأخبار والتحليل السياسية والتصريحات، تتوقف مع إعلان لبث الفيلم الهندي رابنا من بطولة الممثلة كريتي سانون، وهو فيلم رومانسي لطيف، تعجبها بداية الفيلم وتستمر بمشاهدته، تدخل رقية برسمة جديدة، تظل تشاهد مع أمها بعض المشاهد ثم تقترب وكأنها تريد قول شيء مهم.

رقية :- ماما أقول سر لكن لا تقولي لبابا

تنتهب الأم إلى طفلتها والتي تشير إلى كريتي سانون بالتلفاز.

رقية :- ماما هذه هي الجنية حق بابا.. ترقص له وكمان تبوس فمه

تضحك الأم بشدة ولا تستطيع أن توقف ضحكتها، تحاول السيطرة

على نفسها وتأخذ رقية في حضانها وهي تقبلها وتتفاعل مع إحدى أغاني الفيلم.

الأم :- هي هذه الجنية حق بابا يا حبيبي .. ما شاء الله جنية حلوة

رقية، تهز برأسها :- كمان تغني وترقص حلو.

تفرح سرية من دواخلها وتبدد شكوكها حول عبدالحميد، تتأكد أن رقية فعلاً تخيلت حكاية الجنية.

تركض رقية إلى الخارج، تنهض سرية وتتجه نحو المطبخ تستخرج علبة السجائر وترمي بها في الزبالة، ثم تتجه إلى غرفة النوم، تأخذ كيس المهدئات وتتوجه إلى كيس الزبالة بالمطبخ وتتخلص من الكيس، تشعر براحة وفرح، تعود إلى الديوان لتكمل مشاهدة الفيلم، تتفاعل مع إحدى أغانيه وترقص بفرح، تدخل رقية لتشاركها الرقص ثم يدخل عبدالسلام وينضم معهم.

الفصل الخامس

في الطريق إلى مكان حادث قتل أم الجميلات، يشعر الكاتب بأن قدميه تثقل وتتجمد، تتحجر من الأسفل، يتسلق التجمد ببطء إلى ساقيه ويعلو ويعلو، بينما العقيد شديد يدخن سيجارة تلو سيجارة وهو يحكي ما تمر به هذه المدينة من تحولات في زمن حرب لا تلوح لها نهاية حقيقية.

شديد :- كأن صنعاء تشيخ وتشيخ كل مدننا وبلداننا التي تعصف بها الحروب، نسير إلى اللامعقول، لو أحكي لك ما يحدث من جرائم بشعة، الجوع يدفع بعض الناس لتسميم أطفالهم وأنفسهم، تراجيديات تتكرر على الأقل كل ستة أشهر، يعدون لأنفسهم الغداء والعشاء الأخير وهكذا ينتقلون إلى الملكوت الساوي مجتمعين، يحدث ضجيج ليوم ويومين لتكون كارثة جديدة.

يحاول الكاتب أن يبطل تحجر رجليه ثم ساقه ولكن يتسلق الشلل ببطء شديد إلى فخذه ووسطه، كأنه يشفق على نفسه من منظر الجثث وإن كانت سمر بينهم كيف ستكون ردة فعله؟

هل سينكرها ويلقي نظرة سريعة أم يقف لبيكيها كما بكى عطيل
ديدمونة؟

تمنى أنه لم يلتقيها في بيت سعد وأنه لم يطاوعها وينقاد إليها، أهو إذن يجبها ليصاب بالشلل النصفى الآن، أكانت نزوة شاعر وما أكثر نزوات وهفوات الشعراء؟

يكمل شديد كلامه ويتحدث عن أم الجميلات وكيف أن بناتها أو عاهراتها نظيفات وكذلك زبائنهن، فلم تحدث لها مشكلة كبيرة وكانت تدبر شبكتها بحرفية دون لفت الانتباه؟ تقدم خدماتها دون خداع، وكأن شديد يرى أن وجود أمثال أم الجميلات وغيرها لا يعيب أي مدينة ولا يندسها، فمن الأفضل لمن يحبون الجنس أن يشتره بشكل محترم وأفضل من الاغتصاب أو فوضى العاهرات بالشوارع ومواقع التواصل الاجتماعي.

يسمع الكاتب في صمت هذيان صديقه العقيد ولا يعلم إن كانت فعلا هذه رؤيته أم أنه تحت تأثير الخمر الذي تناوله في مطعم الاسكيمو. تصل السيارة إلى المكان، توجد بالمكان سيارة إسعاف وعدة أطقم ورجال الشرطة والبحث الجنائي، ينزل العقيد شديد ويطلب من الكاتب النزول، يحاول أن يحرر قدميه وساقه، تتعرق كفيه، هنا كأنه يشعر بكف سمر تمسك بكفه الأيمن وتضغط عليها، يتخيلها تفتح باب السيارة وتسحبه برفق، يبتسم، يتحرر رويداً رويداً من شلله وينزل من السيارة وكأن سمر تبعث له أن يطمئن فهي ليست بينهم وهي تنتظره بلهفه.

هنا يتمنى أن ينتهي هذا المشهد سريعاً ليعود إلى حضن سمر .
مدخل البيت وجدرانه وموقعه كما وصفته سمر ، فالبيت لا هو بحارة مهمشة وبائسة ولا هو بحارة راقية وكأنه يقدم خدماته للجميع ويربط بين عالمين ، في الصالون الرئيسي كانت الحادثة ، سبع فتيات ، سبع جثث متناثرة وبوضعية مختلفة ، الدم بلل السجادة الكبيرة المفروشة على الأرضية ، سجادة خضراء مع مربعات سوداء ورسومات غزلان ، تعرف على وردة صديقة سمر ، مفتوحة العينين فاغرة الفم كأنها تقول له : سمر ليست هنا ، اعتن بها إن أحببت ألا تراها بهذا المنظر ، يرى أم الجميلات وكما وصفته له سمر . بعضنا يتصور أن قوادة تعني جسماً سمينا ووجهاً منتفخاً وصوت أجش ، تبدو أنها لاتزال تملك من الأناقة الأثوية . الرصاصات تركزت على بطنها وتكاد نجحت في فصل الجزء العلوي من السفلي ، يلقي نظرة أخيرة على جثة القاتل ونظرة عامة على المشهد ، يستأذن صديقه العقيد ويخرج مسرعاً وهو يتمنى أن يرى سمر وترتمي في حضنه .

في إحدى الصالات الأرضية ببهو الشقق المفروشة ، تجتمع ثلاث نادلات يشاهدن عبر شاشة كبيرة ونقية الصورة ، يشاهدن فيلم كريتي سانون ، تقسم إحداهن أن المقيمة بالشقة الغربية بالدور السابع والأخير تشبه الممثلة كريتي سانون وقد تكون الاختلافات بسيطة بالطول ، يحدث

نقاش ويدفع الفضول النادلات الثلاث للصعود وتأمل جمال هذه الفتاة وتأمل أكثر لهذا الشبه البديع.

فعلا، يأخذن المصعد ويصلن، يطرقن الباب، تفتح هن سمر الباب، يتحججن أنهن قادمات لتقديم خدماتهن. يدخلن، تكون سمر بكامل أناقتها، تلبس جينزاً نسائياً وفانيلا سوداء، ملبسها يشابه ملبس الممثلة الهندية في أحد مشاهد فيلم رابتا الذي يعرض حاليا على إحدى القنوات. تعترف إحدى النادلات وتقول :- حقيقة نحن هنا لتأمل جمالك، أنت تشبهين كثيرا الممثلة نجمة بوليوود كريتي سانون والآن تعرض إحدى القنوات واحداً من أفلامها.

تقف الثانية بجانبها مبتسمة :- ما شاء الله عليك قمر وتشبهينها كثيرا تقترح الثالثة أخذ صورة تذكارية. تعتذر بسمر بلطف هن عن أخذ الصور، ثم تمد يدها بجيب بنطلونها وتستخرج ثلاث ورقات من فئة الخمسة آلاف ريال يماني وتعطي لكل واحدة ثلاث ورقات، تفرح النادلات بهذه الإكرامية السخية، يعتذرن عن الإزعاج ويخرجن.

بمدخل الشقق المفروشة، يدخل الكاتب تسابقه روحه ليرى سمر ولا يدري كيف أصبح متعلقا بها، يأخذ المصعد ويتمناه أن يطير بكل سرعته إلى الدور السابع، يصل، يطرق الباب، تفتح له سمر، يظل جامداً لبعض الثواني ثم يندفع ليأخذها في صدره، تنسحب منه بلطف لتغلق

الباب، ثم تعود لتعلق به، هو أطول منها قليلاً، في كل مرة تتعلق بصدرة وذراعية ترفع قدميها وساقها للخلف قليلاً.

يبدو مرتبكاً قليلاً ولا يدري كيف يخبرها بما حدث، يسألها عن برنامجها اليوم، تجره إلى غرفة النوم وتستعرض مشترياتهما.

هي :- شوف حبيبتك سمر، صاحبة ذوق تشكيلة فساتين نوم وكمبان عدة بيجامات لك وعدة مقاطب حضرمية وأريد أن تكون أكبر جتلمان فيك يا صنعاء.. فقط ما قدرت أحول مبلغ لأم الجميلات وما اتصلت بها.. مش مشكل بكره وراح استخدم بطاقة مزيفة.. الخلو فيها أنها لا تقف ضد أي واحدة تشوف مستقبلها، بقية القوادات شيطانات كأن الواحدة جارية عندهم.. أم الجميلات قلبها طيب وعاملتني معاملة خاصة جداً. هو يستمع إليها ويبحث عن مدخل ليخبرها بالحادثة.

هي :- تعرف أني كنت أستخدم أقنعة على وجهي بحفلات المجون وأغني وأرقص وأرفض المعاشرة الجنسية، شوفت فكرة القناع في أحد أفلام نادية يسري، كانت عملت أفلاماً جريئة كثيرًا. يطلب منها أن تجلس، تجلس وكأنها انتبهت أنه يريد أن يقول لها شيئاً مهماً.

هو :- سمر، أم الجميلات ورفيقتك وردة وبقية البنات يصمت للحظة.

هي :- ماذا قبضوا عليهم؟، حتى لو حدث هذا مالي معهم لا صور ولا أي شيء.. مستحيل إن أم الجميلات تحكي عني.. كنت دوماً مستعدة لمغادرة ذلك المكان ومالي أثر فيه.. لا تخاف.

هو :- الحقيقة.. الحقيقة حصلت حادثة مرعبة.. واحد مسلح تهجم على البيت وقتلهن جميعا.. شفت مكان الحادث بالصدفة كنت مع صديقي العقيد شديد.. كان المنظر بشعاً .

تتجمد سمر للحظات، تصمت، يسارع ويمسك بيديها التي تبدأ بالثلج، يفرك يديها بيده ويضمها إليه.

هو :- كنت ميتاً من الخوف لو أنك كنتِ هناك.. لا تقلقي ليس عليك شيء ولا حتى ملف في شرطة الآداب.

في بيت الكاتب، تكون سرية منشرة الصدر، تغني وتراقص مع عبدالسلام ورقية، تبدأ تعد نفسها وطفليها للخروج والتسوق والأكل خارج البيت.

سرية :- إيش رأيكم نروح نأكل بالمطعم التهامي العشة التهامية هناك. أكل نظيف وألعاب في مذبج وبعدين نروح سوق هاييل وشارع عبدالغني والتحرير وكل مكان تجبوه.

كأن رقية لديها مقترح، ترفع يدها، تشجعها الأم.

رقية :- بعدها نروح باب اليمن وسوق الملح وصنعاء القديمة.
تصمت الأم للحظة، فهي تحب هذه الأماكن لكن لا تريد أن يراها
أحد من إخوتها وتدخل معهم في مشاكل، لا تريد زرع هذا الخوف في
نفس طفلها، تبتسم وتمز رأسها بالموافقة.
تحاول الأم مازحة رقية وتسألها بضحك :- شو أخبار جنية؟
تصمت وكأنها تتذكر وعدا لوالدها بعدم الحديث عن الجنية.
رقية :- أنتِ شوفتيها في التلفزيون.
تضحك الأم وتسرع بالتجهيز للخروج.
في الشقة الفخمة، تمسح سمر دموعها. كان الكاتب ترك لها بعض
الوقت تخلو مع نفسها، تجمع سمر نفسها وتطلب من الكاتب أن يلبس
الملابس الأنيقة، يقترب منها ويحاول أن يخرجها إلى جو آخر.
الكاتب :- شو رأيك نخرج ونتغدي بمطعم العشة التهامية، يقدمون
أكلاً تهمايماً حقيقياً من حقنا.
تبتسم وكأنها طوت صفحة أم الجميلات ورفيقاتها السابقات.
سمر :- طيب ممتاز نخرج.. لكن أخاف يشوفك واحد من معارفك
معي.
يبتسم يطمأنها :- صار لي مدة شهور طويلة تواصلاتي ضعفت..

تدرين جمدت نشاطي على السوشيل ميديا والناس تنسأك.. حقيقة بعد عدة اعتقالات وبهذله تعبت أو أني صرت جبان.. قلت لك لست أنا البطل الكامل الذي تخيلته.. قصص وقصائد ونشر وكتابات لكنها يبدو غير مرئية.. وكالات وصحف كنت أكتب لهم من الواقع بعدها ينشروا من وجهة نظرهم أو يريدون أشياء مثيرة.. حاجات للقراءة واللايكات وكما يقول إخواننا في مصر: هشيك بشيك.. المهم هيا نستعد للخروج.. أكل تهامي ونرجع لعشنا الجميل نفكر.

هي :- طيب تعال ندخل نأخذ دوش مشترك.

كأنه استحب الفكرة. تسرع تتعلق به. تأخذ بعض القبلات ثم تسجبه بهدوء إلى الدوش.

في مطعم العشة التهامية، تختار سرية مقصورة قرب المدخل الرئيسي، وتبدو الرؤية واضحة للمدخل من خلال الفاصل الزجاجي الذي يمكن الشخص بالداخل أن يرى من الخارج ولا يقدر من هم بالخارج رؤية من بالداخل. ثمة ستار لمدخل كل مقصورة بحيث يمكن للنساء نزع البرقع وأخذ راحتهم.

تكون رقية قلقة قليلا وهي تراقب أمها، ومن حين إلى آخر تلمح إلى مدخل الباب الرئيسي. تبدو رقية كأنها سمعت اقتراح أيها بالخروج مع

سمر إلى هذا المطعم وفي هذا التوقيت بالذات؛ ولو حدث هذا ستكون كارثة لأنها التي ستري الجنية. يتصاعد القلق ولا تبدو رقية مرتاحة. بالشقة الفخمة، يبدو أن الكاتب وسمر قد انتهيا من الاغتسال ولبس ملابس الخروج، تبسم سمر لما تم فعله خلال الاغتسال المشترك، يحضها على لبس البالتو؛ وكأنه يحسب الوقت للوصول إلى مطعم العشة التهامي.

الكاتب :- راح نوكلك لحم حنيد تهامي مع فته العسل الأصلي وكمان سمك طري

يغني مقطعاً من كلمات أغنية والله لدبز بنفسي امبحر

والله لدبز بنفسي امبحر^(١)

واسكه من أمحب واتعابه.

تقاطعته وتأتي ترقص وتغني بلهجتها الصنعانية مقاطع من قصيدة وا ازيب قر وا ازيب قر^(٢) للشاعر عبدالله غدوة

هي - تغني

(١) من الأغاني التهامية التراثية، يغنيها بعض الفنانين في تهامة، والله لدبز بنفسي

امبحر وتعني والله سأرمي بنفسي في البحر

(٢) أغنية مشهورة للشاعر الغنائي التهامي عبدالله غدوة توجد مقالة تحليلية للقصيدة

لحميد عقبي على موقع خيوط اليمنى

وا ازْيَب قر وا ازْيَب قر
 ماله هايجو استمر
 وامبتان له حزر
 يقلب به على المحجر
 ليلى طال واستمر
 وا ازْيَب قر وا ازْيَب قر
 يا حانيش يازقر
 و أناعاشق امبحر
 في حلي وفي أمسفر
 وأقبل منه ما خطر
 وا ازْيَب قر وا ازْيَب قر
 وا امنامس إذا انتشر
 مال امبحر ما استقر
 واليوم مركبي شمر
 يا خوفني إذا عبر
 وا ازْيَب قر وا ازْيَب قر
 لا نجمة ولا قمر
 طال العزف بالوتر
 وا ازْيَب قر وا ازْيَب قر
 حبيته من أمصغر
 ألقى فيه ما أمر
 حتى لو يكون خطر
 وا ازْيَب قر وا ازْيَب قر
 وا ازْيَب قر وا ازْيَب قر.

يصفق لها ويحثها على المغادرة، تعانقه وتقبله.

هي :- طيب حبيبي من شان خاطري خلىنا هنا ونطلب سفري .. كما ان
 عندنا ويسكي ونرسل نشري قات ..

تسرع سمر بجره إلى الديوان الأنيق وتنزع الباطو ترمي به، كأنه
 يخضع لاقتراحها ويوافقها، هي تذهب تعد المائدة وتتصل بالخدمات
 التي تنفذ أي طلبات.

تصفق الطفلة رقية، تخرج من حالة التوتر والقلق التي كانت فيه، كأنها تصفق لمقترح سمر بالبقاء بالشقة هناك، لو أن أباهما جاء مع سمر ستكون كارثة فاجعة لسرية. تستغرب سرية من تصرفات ابنتها، تسألها.

سرية :- حبيتي رقية ما لك؟

رقية :- ماما نحبك ونحب بابا وما تفرقوا ولا تزعلوا من بعض.

سرية تمازح طفلتها :- أنتِ شايفه الجنية مع بابا.

تنهمك رقية بالأكل، تراوغ بالرد.

رقية :- أنتِ شوفتي الجنية ترقص وتغني بالتلفزيون.

يزيد اطمئنان سرية لرد طفلتها، تشعر بشهية مفتوحة وراحة كبيرة،

كأن غيوم الشك في زوجها قد تبددت.

يكون الكاتب عبد الحميد بديوان الشقة المفروشة وحوله مبخرة تندفق

بسحب البخور، عدد من الشموع المضيئة الملونة، مزهرية مشرقة بالورد

الأحمر وكأن قطرات الندى تتوج وجهه، رائحة الفل والياسمين والريحان

والتي تأتي مشعة من جسد ورأس وعلى صدر سمر، يتذكر أن زوجته

سرية كانت تفاجأه بليالي رومانسية غزيرة باللذة، لكن بسبب ظروفه

وإفلاسه وحيrote وقسوة الواقع جعلته يعتكف بمتاهة مربةكة. يتذكر

أنه يقضي بعض الأيام تائهاً يتجول في شوارع وأزقة صنعاء أو يجلس

على مرتفع جبل كأنه يحرس صنعاء المدينة من الريح والأتربة والقنابل الحارقة، قد يذهب خياله إلى أرضه تهامة، يناجي الموج والبحر ويحاور النوارس والنخلات الجبلي، يرثي قريته المدفونة بالسواد والتي لم تعد على الخارطة.

كثيرًا ما كان يسأل نفسه: نحن ككتاب وشعراء ماذا فعلنا ونفعل؟ نتحاور في المقاهي وعلى صفحات وسائل التواصل الاجتماعي، نختلف أكثر مما نتفق ونسعى للشهرة والمجد، الحرب فعلت وتفعل به كما تفعل بغيره، تتدفق وديان الهذيان والشك والضياح تجرفه كما تجرف غيره. هذه الثلاثة الأيام الأخيرة الحافلة بالمصادفات تختلف عن كل السنوات السابقة، سمر القادمة من رحم التراخيديا والمجهول كأنها تعيد تشكيل وعيه، جعلته يعترف لها بأنه لاشيء، لا هو بطل، لا هو شاعر ولا كاتب ولا حتى زوج مخلص. يرى سمر كالوجه الآخر لزوجته سرية لم يلاحظ كالآخرين أنها تشبه النجمة الهندية الجميلة كرتي سانون، كأنها الجزء المخفي من سرية بنت صنعاء القديمة التي حاربت العالم من أجله وقلت الغربية والمنفى بعيدا من صنعاء القديمة فهناك الهواء والنسيم يرفرف بعطر الفردوس، لكل شيء رائحته الشجر والحجر والبشر، امرأة وزوجة من بنات المدينة القديمة تعني حورية فردوسية دائمة العطر، يحسد نفسه بهذه المجزة شاب تهامي يتزوج من بنت المدينة القديمة فهي

معجزة لطيفة، كل شيء يعمله يكون طيباً، صوتها غناء، حديثها الشعر، خطواتها السحر.

يربط بين سرية وسمر ويحسبها اثنتين يساوي واحداً، كأنه يبحث عن مصوغات أخلاقية ومنطقية، يقتنع بذلك، هو لا يخون، لا يقترف الشر. هو يعيش نزوة كنزواته السابقات التي سرعان ما أفاق منها واعترف لسرية بذنوبه فغفرت زلاته وسقطاته، سمر شيء جديد وعالم آخر وربما لو رُج بها في عالم أي شاعر أو كاتب ليس بمقدور أحد ألا يتورط بما يتورط به الآن، يكفيك هذيانا سخيفاً. هاهي تُعد متكئاً أنيقاً والرغبة تتدفق منها ومنك.

كأن هذه الحكاية رواية يكتبها أحدهم في مشارق الأرض أو مغاربها ويبحث كاتبها عن نهاية ما، يختار ويتردد كيف ينهيها؟

يترك نفسه لهذا العصف العطر بلحظات الرغبة المودية إلى اللذة، تهندسها سمر الساحرة، التي طلبت منه ألا يكون حديثاً عن المستقبل والنهاية ولمدة ثلاثة أيام وليالي عليها تجريب كل أنواع اللذة. الجنس بعنفوانه وجنونه وكل الأوضاع الجنسية المعروفة، لديها رغبة وخيالات لتجربة أوضاع جديدة ومبتكرة، جسدها الطريّ اللين يجعلها تطويه وتشكله فتزيد قوته كرجل.

ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ ترك لها العنان لتقوده في كل دهاليز اللذة، ترتقي

به إلى الأعلى، تخلق منه شهريار الملك، سمر كأنها كتيبة من الحوريات البارعات في خلق اللذة، لم يتصور أن يفعلها مثنى ورباعاً باليوم والليل، يفعلها لزمن أطول ثم يعود ذلك لينهض من جديد، هي تعرف كيف تفعل لترويضه لجعله الحصان الرابع في كل جولة. تعضه عضات خفيفة لطيفة ولذيذة وفي كل مرة يمارس معها كأنها المرة الأولى بلذتها البهيجة.

النهاية

تنتهي الأيام والليالي الثلاث بعنفها وعطرها البهيج. في اليوم الرابع ينهض قرب الظهيرة وقد أعدت سحراً عدة أكياس تعرف تماماً ما فيها، يغتسل، يلبس ثيابه، يشرب قهوته ويدخن ثلاث سجائر، تظل بعيدة عنه وليس كعادتها لا تملّ من الالتصاق به، هي شهرزاد قائدة الحكايات والخيالات والأقدار ومبدعتها.

تكون بفستان ساري هندي يغزوه البياض مع نقش لطيف من الزرقة واللون البنفسجي.

تكون مبتسمة وجادة: -أخذتك أكثر مما ينبغي عن عالمك وبيتك وزوجتك.. يجب أن تعود لهم اليوم وتظل معهم.

هو: -لنأخذ ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ أخريات.. أعتقد أنه لدي فكرة لنذهب إلى فرنسا، يمكنني تسجيلك بمعهد اللغة الفرنسية وأنا يمكنني أن أطلب من معارفي والمؤسسات التي عملت معها رد ولو بعض الجميل لي، لنؤسس هناك فرقة للمسرح أو شركة سينمائية، تملكين كل مواهب النجومية والتألق العالمي، سأخذ عائلتي أيضاً ونبحث عن معادلة لنظل معا ولا أظلم زوجتي وعائلتي ولا أفقدك.. معنا بعض المال سيسهل لنا الصعوبات.

تبتسم، يبدو عليها اطمئنان وثقة ونفس منشرحة، كأن روحها ترفرف
بفرح، تكون رؤيتها إلى زرقة السماء، هي من اختار هذا المكان وهذا
الطابق وهذا الموقع بالذات.

هي من حددت ورسمت، هي من قادتة إليها وآمنت به وأعدت
خلقه، يعلم أن حياته بعد سمر لن تكون كما كانت قبلها، لم يكتب شيئاً
خلال أيام الفردوس ولياليه ويشعر أنه بعد ذلك سيكتب شيئاً. ستكون
كتابات مختلفة، تطيح بكل ما كتبه سابقاً أو يعتبر تلك هدياناً سابقاً
وماضوية وبدايات وما سيأتي سيكون الحقيقة التي قطفها من عالم السحر
ودهاليز الفردوس التي عاشها ويتمنى الخلود الدائم؛ فلا يشيب ولا
يضعف ولا يمرض ولا يفيق من هذه السلسلة الحلمية البهيجة.

هي كمن اتخذ القرار، تظل تحافظ على مسافة قصيرة معه.

سمر :- لتعد لبيتك ونرى كيف ستشرق غدا الشمس وكيف سيكون
العالم وتكون هذه المدينة، قد تشرق بدوني.

يتنفض لهذه اللغة التعبيرية الشائكة بالدلالات كأنها لسان روائي يريد
نهاية مقنعة يطوي عجزه في أن يمد بعمر حكاياته وأقدار شخصياته.

سمر :- في هذه الأكياس ملابسك وفي كيس المال، خلّه معك، أنا لا
أقدر أحتفظ به، وفي كيس ثالث هدية مني إلى زوجتك المرأة التي وهبتك

عبدالسلام ورقية، سلبتِك منها هذه الأيام والليالي، أرجوك أن تعود إليهم وغدا سيكون المختلف. سأفعل ما تأمرني به.

يطمئن لعبارتها الأخيرة، ينصاع لرغباتها، يقترب منها ليعانقها بشوق ولمدة طويلة، تنسحب منه بلطف وتُشرق شفيتها بابتسامة ملائكية.

في البيت، تكون رقية سعيدة وتملأ البيت بالضجيج وهي تغني وترقص.

رقية :- بابا راجع.. الجنية بوم بوم خلاص.. بابا راجع.. الجنية بوم بوم خلاص... بابا راجع.. الجنية بوم بوم خلاص.

تبتسم سرية وهي تعجز عن حل ما تقصده رقية، تسارع سرية، تمشط شعرها، تشعل البخور ليهز كل أركان البيت ويبعث بسحبه إلى أرجاء الحارة، ترسل عبدالسلام ليشتري اللحم وبعض الأشياء لعمل الغداء، تعد الوجبات التي تعجب زوجها، تناديا أصوات الرغبة إلى ليلة مفعمة باللذة تستعيد فيها ذكريات الليلة الأولى وألف ليلة وليلة تعالت فيها شهقاتها الساخنة.

ها هو عبدالحميد يدخل كما بشرت به رقية، رقية الطفلة العرافة المرفوع لها الحجاب والتي ترى ما لا يراه أحد. يكون عبدالحميد محملا بالأكياس، يسلمها إلى زوجته بما فيها كيس الدولارات، تعانقه سرية

ويشعر بسخونة أنفاسها، ها هي سرية الأولى تعود فرحة، ضاحكة، معطرة وتفصح عن رغبتها له.

يعيش اللحظة، اللحظة بفعل ما تخلقه سرية من بهجة وعدم إثارة أسئلة. ينقضي النهار سريعاً، يبسط الليل أجنحته، يُسرِع عبدالسلام ليعلن رغبته للنوم، تتبعه رقية.

هو مع سرية المشرقة كالليلة الأولى، تقوده إلى غرفة النوم، تشعل سبع شمعات باللون الوردي وتنثر زجاجة عطر ياسمين على جسدها والجدران والسرير، كأنه بحقل الياسمين هناك، وكأن أرضه عادت لتزهر وتضج بأهازيج الفرح والأمل.

تدعوه بشجاعة وبشكل تصريحي: - لنفعلها الليلة كما فعلناها أول ليلة، ولتكن كل ليالينا القادمة أول ليلة.

عناقات وقبلات، همسات ساخنة وشوشات وهمسات فتبلغ اللذة مداها إلى جزر الفردوس التي تعود لهذا البيت.

ينهض بالعاشرة تقريبا، يأخذ حمامه، ينشف شعره ويلبس ملبسه، بالديوان المتواضع يكون الجميع في حالة تحجر ووجوم، الكل يتابع التقارير الأخبارية المفجعة، العنوان البارز تعرض شارع تعز وبير عبید بمدينة صنعاء لقصف أدى إلى تدمير مجمع الشقق السياحية ملكة سبأ وموت جميع من فيها بالكامل.

النهاية

